أبو الفرج الأصبهاني



مكتبة صادر
بيروت



قطوف الأغاني

نهج جديد في ترتيب كتاب « الاغاني »
الشهير لأبي الفرج الاصبهاني ، لم يُحذَف
منه إلا الاسنادات والتعريف بالألحان
والقصص والأشعار المنافية للآداب

وقف على شرحه وتحقيقه

الاستاذ كرم البستاني



مطبعة المناهل ٧١ – ١٩٥١

اخبار اسحاق بن ابراهيم الموصلي

نسبه وكنيته

يكنى أبا محمد ، وكان الرشيد يولع به فيكنيه أبا صفوان ، وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مزحاً

موضعه من العلم والادب



وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحلته من الرواية ، وتقدمه في الشعر ، ومنزلته في سائر المحاسن ، أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف ؛ وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه ؛ فإنه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير ؛ فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقي ، ولحب[1] للناس جميعاً طريقه فأوضحها ، وسهل

---

[1] لحب الطريق : سلكه وأوضحه .

عليهم سبيلَه وآثارها ؛ فهو إمام أهل صناعته جميعاً ، ورأسهم ومعلّمهم ؛ يَعْرِف ذلك منه الخاص والعامّ ، ويشهد به الموافق والمفارق[1]

على أنه كان أكرَه الناس للغناء وأشدّهم بغضاً لأن يُدعى إليه أو يُسمّى به وكان يقول لوَدِدْت أن أضرب ، كلما أراد مريدٌ مني أن أغنّيَ وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغنّي ، عشرَ مَقارع ، لا أُطيق أكثرَ من ذلك ، وأُعفَى من الغنـــاء ولا ينسُبني من يذكرني إليه

وكان المأمون يقول لولا ما سَبق على ألسنة الناس وشُهِر به عندهم من الغناء لولّيتُه القضاءَ بحضرتي ، فإنه أولى به وأعفُّ وأصدق وأكثر دِيناً وأمانةً من هؤلاء القضاة



روايته للحديث

وقد روى الحديثَ ولقي أهلَه مثل مالِك بن أنَس ، وسُفيان ابن عُيَيْنة ، وهُشَيم بن بَشِير[2] ، وإبراهيمَ بن سَعْد[3] ، وأبي معاوية الضّرير[4] ، ورَوْح بن عُبادة[5] ، وغيرِهم من شيوخ العراق والحجاز

---

١ يريد الصديق والعدو

١ هو هشيم بن دينار السلمي ويكنى أبا معاوية .

٢ هو ابراهيم بن سعد الزهري ويكنى أبا اسحاق .

٤ اسمه محمد بن خازم مولى لبني عمرو بن سعد

٥ هو روح بن عبادة القيسي ويكنى أبا محمد .

وكان مع كراهته الغناءَ أضنَّ خلق الله وأشدَّهم بُخلاً به على كل أحد حتى على جواريه وغِلمانه ومن يأخذ عنه مُنتسباً إليه مُتعَصِّباً له ، فضلاً عن غيرهم

تصحيحه لاجناس الغناء

وهو الذي صحّح أجناس الغناء وطرائقَه وميّزه تمييزاً لم يقدِر عليه أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده ، ولم يكن قديماً مميَّزاً على هذا الجنس ، إنما كان يقال الثقيل ، وثقيل الثقيل ، والخفيف ، وخفيف الخفيف

وهذا عمرو بن بانة ، وهو من تلامذته ، يقول في كتابه الرمل الأوّل ، والرمل الثاني؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر ، ولا يعرف المجاريَ التي ذكرها إسحاق في كتابه ، مثلَ ما ميّز الأجناس ، فجعل الثقيل الأوّل أصنافاً ، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها ، ثم بما كان بالسبّابة في مجرى البنصر ، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة ؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صنفين ، الصنف الأوّل منهما هذا الذي ذكرناه ، والصنف الثاني القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل ، وأجراه المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري ، وألحق جميع الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب

ثم لم يتعلق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلا عن أن يُصنّفه في كتابه ؛ فقد ألّف جماعةٌ من المغنّين كتباً ، منهم يحيى المكي ، وكان شيخ الجماعة وأستاذهم ، وكلّهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز ، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة ، وقد كان إبراهيم الموصليّ وابن جامع يضطران إلى الأخذ عنه ، ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق فيه ابنهُ الغناءَ المُحدَث إلى آخر ايّامه ، فأتيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم ، حتى جعلا أكثر ما جنّساه من ذلك مختلطاً فاسداً ، وجعلا بعضه ، فيما زعما ، تشترك الأصابع كلّها فيه .

وهذا محال ؛ ولو اشتركت الأصابع لـمّا احتيج إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومةً على صِنْفين الوسطى والبنصر

والكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا ؛ وقد ذكرته في رسالة عمِلتُها لبعض إخواني ممن سألني شرح هذا ، فأثبتّه واستقصيتهُ استقصاءً يُستَغنَى به عن غيره

وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه ، حتى اتى على كل ما سمّته الأوائلُ مثل إقليدس ومَنْ قَبْلَه ومَن بعده من أهل العلم الموسيقى ، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنَوا فيه الدهورَ ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه

حدّثني[1] عليّ بن يحيى المنجم قال

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فسأل إسحاقَ الموصليّ ،

الحديث لجعفر بن قدامة

أو سأله محمد بن الحسن بن مُصعب ، بحضرتي ، فقال له يا أبا محمد ، أرأيت لو أنّ الناس جعلوا للعود وتراً خامساً للنّغمة الحادّة التي هي العاشرة على مذهبك ، أين كنت تخرج منه ؟

فبقي إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكراً ، واحمرّت أذُناه وكانتا عظيمتين ، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما ؛ فقال لمحمد بن الحسن الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون بالضرب فإن كنت تضرب أريتُك أين تخرج !

فخجِل وسكت عنه مُغضَباً ، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يَحسُن ، فحلُم عنه

قال عليّ بن يحيى: فصار إليّ به وقال لي يا أبا الحسن ، إنّ هذا الرجل سألني عما سمعتَ ، ولم يبلغ علمُه ان يستنبط مثلَه بقريحته ، وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل ، وقد بلغني أن التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى ، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطنيه

فوعدته بذلك ، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها

وإنما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله ، لأنه من أعجب شيء يُؤْثَر عنه أنه استخرج بطبعه عِلماً رسمتْه الأوائل لا يُوصَل الى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى ، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه واستنبطه بقريحته ، فوافق ما رسمه أولئك ، ولم يَشِذّ عنه شيء يحتاج إليه منه ، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ إليه ولا عَرفه ، ثم تبيّن بعد هذا ،

ما أذكره من أخباره ومجرياته في صناعته ، فضله على أهلها [illegible]
وتبرّزه عليهم وكونه سماة هم أرضها وبحرا عم جداوله

ام اسحاق وجنسها

وأمّ إسحاق امرأة من أهل الريّ يقال لها شاهك ؛ وذكر قوم أنها
دوشار التي كانت تغنّي بالدُّفّ ، فهويها إبراهيم وتزوّجها وهذا
خطأ ، تلك لم تلد من ابراهيم إلا بنتاً ، وإسحاقُ وسائرُ ولد ابراهيم من
شاهكَ هذه



منهاج دراسته

أخبرني يحيى بن عليّ المنجم عن إسحاق قال
بقيتُ دهراً من دهري أغلّس[1] في كلّ يوم إلى هُشَيم فأسمع منه ،
ثم أصير الى الكسائيّ أو الفرّاء أو ابن غزالة فأقرأ عليه جزءاً من
القرآن ، ثم آتي منصورَ زلزل فيضاربني طَرْقين[2] أو ثلاثة ، ثم آتي
عاتكةَ بنت شُهْدَة[3] فآخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتي الأصمعيّ

أغلس آتي في الغلس وهو ظلمة آخر الليل
الطرق صوت أو نغمة بالعود ونحوه
احدى المغنيات المحسنات

وأبا عُبَيدة فأناشدهما وأحدثهما فأستفيد منهما ، ثم أصير الى أبي فأعلمه ما صنعتُ ومَنْ لقِيت وما أخذتُ وأتغدّى معه ، فإذا كان العشاء رُحت الى أمير المؤمنين الرشيدِ

زلزل يعلمه

أخَذ منّي[1] منصورُ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثْلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم

تقدير ابن عائشة والمأمون له

كنتُ[2] عند ابن عائشة فجاء أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فرحّب به وقال هاهنا يا أبا محمد إلى جَنْبي ، فلئن بعُدَتْ بيننا الأنساب ، لقد قرّبتْ بيننا الآداب .

حدّثنا[3] ابن شَبِيب من جلساء المأمون عنه : أنه قال يوماً ، وإسحاق غائبٌ عن مجلسه لولا ما سَبَق على ألسِنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لَولّيتُه القضاء ، فما أعرف مثلَه ثقةً وصدقاً وعفةً وفقهاً. هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفتِه

---

١ الحديث لاسحاق .

٢ الحديث لأحمد بن خيثمة

٣ الحديث ليزيد بن محمد المهلبي

تقصيه للحديث

سمعت إسحاق الموصلي يقول

صرتُ الى سُفيان بن عُيَينة لأسمع منه ، فتعذّر ذلك عليّ وصعُب مَرامُه ، فرأيته عند الفضل بن الرَّبيع ، فسألتُه أن يعرّفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليه بحديثي ؛ ففعل وأوصاه بي فقال : إنّ أبا محمد من أهل العلم وحَمَلَتِه

قال فقلت تَفرِضُ لي عليه ما يحدّثني به

فسأله في ذلك ، ففرَض لي خمسة عشرَ حديثاً في كل مجلس ؛ فصِرت إليه فحدّثني بما فرض لي ؛ فقلت له أعزّك الله ، صحيح كما حدّثتَني به ؟

قال نعم ؛ وعقَد بيده شيئاً

قلت أفأرْويه عنك ؟

قال نعم ؛ وعقَد بيده شيئاً آخر ، ثم قال هذه خمسة وأربعون حديثاً ؛ وضحك إليّ وقال قد سَرَّني ما رأيتُ من تَقَصّيكَ في الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك ، فصرْ إليّ متى شئتَ حتى أحدّثك ما شئت

الحديث للمخرمي عن أبيه .

اسحاق والضرير

جئتُ[1] يوماً الى أبي معاوية الضّرير ومعي مائة حديث، فوجدتُ حاجبَه يومئذ رجلاً ضريراً؛ فقال لي: إنّ أبا معاوية قد ولاّني اليوم حِجْبتَه لينفعني.

فقلت: معي مائةُ حديث وقد جَعَلتُ لك مائة درهم إذا قرأتُها

فدخل واستأذن لي فدخلت؛ فلما عرفني أبو معاوية دعاه فقال له: أخطأتَ، وإنما جعلت لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث. فأمّا أبو محمد وأمثاله فلا

ثم أقبل عليّ يُرغّبني في الإحسان اليه ويذكر ضعفَه وعنايتَه به.

فقلتُ له: احتكِمْ في أمرك

فقال: مائة دينار؛ فأمرت بإحضارها الغلامَ، وقرأتُ عليه ما أردت وانصرفت

من ماله ومن أدبه

وقف أبو عبد الله بن الأعرابيّ على المَدائنيّ، فقال له: الى أين يا أبا عبد الله؟

---

١ الحديث لاسحاق.

فقال أَمضِي الى رجل هو كما قال الشاعر

نَحمِل أشباحَنا الى مَلِكٍ
نأخذُ من ماله، ومن أدبهْ

فقال له ومَنْ ذلك يا أبا عبد الله ؟

قال أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي

قال أبو بكر والبيت لأبي تمام الطائي

وكان إسحاقُ يُجْري على ابن الأعرابيّ في كلّ سنة ثلثمائة دينار، وأهدى له ابن الأعرابي شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطّه ؛ فمرّ ابنُ الأعرابيّ يوماً على باب دار الموصليّ ومعه صديق له ؛ فقال له صديقه هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق

فقال هذه دارُ الذي نأخذ من ماله ومن أدبه

يرث الشعر من جرير

رأيت في منامي كأنّ جريراً جالس يُنشد شعرَه وأنا أسمع منه، فلمّا فرَغ أخذ بيده كُبّة شعر فألقاها في فمي فابتلعتها ؛ فأوّل ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنّه ورّثني الشعرَ

---

١ الحديث لاسحاق.

قال يزيد بن محمد وكذلك كان ، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه

بذله المال لزلزل

قال لي أبي[1] أعطيتُ منصور زَلزل من مالي خاصّة حتى تعلمتُ ضرْبَه بالعود نحواً من مائـة ألف درهم سوى ما أخذْتُـه له من الخلفاء ومن أبي

قال وكانت في زلزل ، قبل أن يعرفَ الصوتَ ويفهَمَهُ ، بلادةٌ أولَ ما يسمعه ، حتى لو ضَرب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكان غلامه أقوى منه؛ فاذا تفهَّمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلّق به أحد البتّة

اجازته لبيت ارتجالا

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن إسحاق قال

قال لي أبو زيَاد الكِلابيّ أوْلَمَ جارٌ لي يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعاني لها ، فانتظرتُ رسوله حتى تصرّم يومي فلم يأت، فقلت لامرأتي:

---

[1] الحديث لحماد بن اسحاق

إنّ أبا سفيانَ ليس بمولمٍ
فقومي فهاتي فِلْقةً من حُوارِكِ[1]

قال اسحاق فقلت له ألس غير هذا ؟

فقال لا ، إنما أرسلتُه يتيماً

فقلت أفلا أُجيزه ؟

قال شأنك

فقلت له

فبيتُكِ خير من بُيوتٍ كثيرةٍ ،
وقِدرُكِ خيرٌ من وليمة جارِكِ

قال فضحك ثم قال أحسنت بأبي أنت وأمي ، جئتَ والله به قَبَلاً[2] ما انتظرتَ به القَرَبَ[3] ، وما ألُوم الخليفةَ أن يجعلك في سُمّاره ويتملّحَ بك ، وإنك لمن طِرازٍ ما رأيتُ بالعراق مثلَه ، ولو كان الشباب يُشترى لابتعتُه لك بإحدى عينيّ ويُمْنَى يديّ ، وعلى أن فيك بحمد الله ومَنّه بقيّة تسرّ الوَدود ، وترُغِم الحسود

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عَمّار فقال

---

١ الفلقة : القطعة الحوار : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم ويفصل
٢ القبل : الارتجال وهو ان يتكلم أحد بكلام لم يكن قد أعده
٣ كنى بالقرب عن انه جاء بالكلام عفو الخاطر دون ان يسعى في طلبه

قالت امرأةُ القتّال الكلابيّ له هل لكَ في فِلْقة من حُوار نطبُخها لك ؟

فقال لا والله ، نحن على وليمة أبي سُفْيان ودَعْوته

وكان أبو سفيان رجلاً من الحيّ زُفَّت إليه امرأتُه تلك الليلة ؛ فجعل يَنظر دُخاناً فلا يراه ، فقال

إنّ أبا سفيان ليس بِمُولِمٍ
فقومي فهاتي فِلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم من الذي قبله

اسحاق والاعرابى

أنشدت[1] أعرابياً فَهِماً شِعراً لي فقال: أقفَرْتَ والله يا أبامحمد .

قلتُ وما أقفرت ؟

قال رعيتَ قَفْرَةً لم تُرْعَ قبلك يريد أبْدَعْتَ

دقة فهمه للغناء

حدّثني[2] بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال : سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول

---

١ الحديث لاسحاق .

٢ الحديث للمبرد .

دخلت على المأمون يوماً وعقيدٌ يغنّيه ارتجالاً وغيره يضرب عليه ؛ فقال يا إسحاق ، كيف تسمع مغنّنا هذا ؟

فقلتُ هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري ؟

قال نعم ، سألتُ عمي إبراهيمَ فوصفه وقرّظه واستحسنه

فقلت له يا أمير المؤمنين ، أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك ، إن الناس قد أكثروا في أمري حتى نسبتْني فرقة الى التزيّد في علمي.

فقال لي فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لَزِمك.

فقلت لعَقيد : اردُد هذا الصوت الذي غنّيتَه آنفاً ، وتحفّظْ فيه. وضرب ضاربُه عليه ؛ فقلت لابراهيم بن المهديّ كيف رأيتَه ؟

فقال ما رأيتُ شيئاً يُكره ولا سمعتُه

فأقبلتُ على عَقيد فقلتُ له استوفاه في أيّ طريقةٍ هذا الصوتُ الذي غنّيتَه ؟

قال في الرَّمَل

فقلت للضارب في أيّ طريقةٍ ضربتَ أنتَ ؟

قال في الهَزَج الثقيل

فقلت : ياأمير المؤمنين ، ما عسيتُ أن أقول في صوت يغنّي مغنّيه رَمَلًا ويضرب ضاربُه هزَجاً وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه !

قال وتفهّمه إبراهيم بن المهديّ بعدي، فقال: صدَق يا أمير المؤمنين ، الأمرُ فيه الآن بيّن

فغاظني ، فقلت له بأيّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بَيّناً قبلُ ؟ أتُوهِم أنك استنبطتَ معرفة هذا ! وإنما قلتَه لمّا علمتَه من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائر من حضر اتّباعاً لي واقتداءً بقولي

فقال له المأمون صدَق ،

فأمسك ، وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كل من حضر ، وكنّاني في ذلك اليوم مرّتين

يعجب بشعره

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال

ان الأصمعيّ أُنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزَيمةَ بنِ خازم[1]

إذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومَنْصِبي،
ودافِعَ ضَيْمي خـازِمٌ وابنُ خازِمِ

عَطَسْتُ بأنفٍ شامخ ، وتناولتْ
يدايَ الثريّا قاعداً ، غيرَ قائمِ

قال : فجعل الأصمعيّ يَعْجَب منهما ويستحسنهما ، وكان بعد ذلك يذكرهما ويفضّلهما

---

[1] هو أحد اشراف الدولة العباسية .

سبب توليه خازماً

قال ابن حَمْدون وكان السبب في تولّي إسحاقَ خازم بنَ خُزَيْمة ابن خازم ، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا[1] ، فقال له ابن جامع يا من إذا قلتُ له يابنَ   لم أخَفْ ان يكذّبني أحد

فمضى الى خازم بنِ خزيمة ، فتولاّه وانتمى إليه ، فقبِل ذلك منه ، وقال هذين البيتين

المعتصم يمتحنه بصوت

قال إسحاق كانت عندي [illegible][2] كنت بها مُعْجَباً ، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ؛ فبينا أنا ذاتَ يوم في منزلي إذا ببابي يُدَقّ دقاً شديداً ، فقلت انظروا من هذا

قالوا رسول أمير المؤمنين

فقلت : ذهبتْ صَنّاجتي، تجدُهُ ذَكَرها له ذاكرٌ فبعث اليّ فيها .

فلما مَضَى بي الرسول انتهيتُ إلى الباب وأنا مُثْخَنٌ[3] ، فدخلتُ

---

١ تغالظا : تعاديا وتشاتما

٢ الصناجة: الضاربة بالصنج، صفيحة مدورة تتخذ من نحاس يضرب بها على اخرى مثلها للطرب .

٣ مثخن مهموم محزون .

فسلّمت ، فردّ السلام ، ونظر الى تغيّر وجهي فقال اسكُن ، فسكنتُ ؛ وسألني عن صوت وقال أتدري لمن هو ؟

فقلتْ أسْمَعُه ثم أُخبِر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك

فأمر جاريةً من وراء الستارة فغنّته وضربتْ ، فإذا هي قد شبّهتْه بالقديم

فقلت زدْني معها عُوداً آخر فإنه أثبتُ لي

فزادني عوداً آخر، فقلت يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت مُحْدَث لامرأة ضاربة

فقال من أين قلتَ ذلك ؟

فقلت لمّا سمعته وسمعت لِينَه عرفتُ أنه من صَنْعة النساء ؛ ولمّا رأيت جودة مَقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة

فقال من أين قلت ذلك

فقلت لأنها قد حَفِظتْ مقاطعه وأجزاءه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ليكون أثبت لي فلم أشكُكْ

فقال صدَقتَ ، الغناء لعَريب

لحن رومي في شعر عرب

حدّثتني[1] مُخارِقُ مولاتُنا قالت

كان لمولاي الذي علّمني الغناءَ فرّاشٌ روميٌّ، وكان يغنّي بالروميّة

---

١ الحديث لاسحاق الطاهري

صوتاً مليحَ اللحن؛ فقال لي مولاي: يا مخارق، خذي هذا اللحن الروميَّ فانقليه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحن به إسحاق الموصليّ فأعلمَ أين يقع من معرفته

ففعلتُ ذلك؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي، فأقام وبعث إليّ أن أدخلي اللحنَ الرومي في وسط غنائك، فغنّيته إياه في دَرْجِ أصوات مرّت قبله، فأصغى إليه إسحاق، وجعل يتفهّمه ويقسّمه ويتفقّد أوزانَه ومقاطعَه ويوقع عليه بيده، ثم أقبل على مولاي فقال: هذا صوت روميّ اللحن، فمن أين وقع إليك؟

فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيتُ شيئاً أحسن من استخراجه لحناً روميّاً لا يعرفه ولا العلّةَ فيه، وقد نُقل الى غناء عربيّ وامتزجتْ نغَمُه، حتى عرفَه ولم يَخْفَ عليه

يقدم زلزلا على ملاحظ

تناظر المغنّون يوماً عند الواثق، فذكروا الضُّرّاب وحِذقَهم، فقدّم إسحاقُ زَلْزَلاً على مُلاحظ، وللاحظ في ذلك الرياسة على جميعهم؛ فقال له الواثق هذا حَيْف وتَعَدٍّ منك

فقال إسحاق يا أمير المؤمنين، اجمع بينهما وامتحنْهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما

فأمرَ بهما فأحضِرا؛ فقال له إسحاق: إن للضُّرّاب أصواتا معروفة، أفأمتحنهما بشيء منها؟

قال أجلْ، افعلْ

فسمّى ثلاثة اصوات كان اوّلها

عُلّقَ قلبي ظبيةَ السّيبِ[1]

فضربا عليه ، فتقدّم زَلْزل وقصّر عنه ملاحظ ؛ فعجب الواثق من كَشْفه عما ادّعاه في مجلس واحد .

فقال له ملاحظ فما باله يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ! ولِمَ لا يضرب هو !

فقال يا أمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد في زماني أضربَ مني إلا أنكم اعفيتموني، فتَفَلّت منّي؛ وعلى أن معي بقيةً لا يتعلّق بها أحد من هذه الطبقة ؛ ثم قال يا مُلاحِظ شَوّشْ عودَكَ وهاته

ففعل ذلك ملاحظ

فقال يا أمير المؤمنين ، هذا يخلّط الأوتار تخليط متعنّت فهو لا يألو ما أفسدها

ثم أخذ العودَ فجسّه ساعةً حتى عرف مواقعه، ثم قال يا مُلاحِظ، غنّ أي صوت شئتَ

فغنّى ملاحظ صوتاً ، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرة

---

[1] السيب : كورة من سواد الكوفة ، ونهر بالبصرة فيه قرية كبيرة ، وموضع بخوارزم

واحدة ، ويَدُه تصعَد وتنحـدر على الدساتين[1] ؛ فقال له الواثق لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به ! اطرح هذا على الجواري

فقال هيهات يا أمير المؤمنين ، هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلُح لهنّ ، إنما بلغني أن الفهليذ[2] ضرب يوماً بين يديْ كِسْرى فأحسن ، فحسده رجل من حُذّاق أهل صنعته ، فترقّبه حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه الى عوده فشوّش بعضَ أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تُصْلَح في مجالسها العيدانُ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد الى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العود فعرف ما فيه ، ثم قال « زِه[3] وزِهْ وزهانْ زِهْ » ، ووصَله بالصّلة التي كان يصِل بها مَن خاطبه هذه المخاطبة

فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذت نفسي ورُضْتُها عليه وقلت لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّي ؛ فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ في الارض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هي ، والمواضعَ التي يخرج النغم كلها منه فيها ، من اعاليها الى أسافلها ، وكلّ شيء منها يجانس شيئاً غيرَه ، كما أعرف

---

[1] الدساتين ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه ، وهي كلمة فارسية ، وتسمي العرب ذلك العتب .

[2] الفهليذ : عواد كسرى .

[3] كلمة فارسية ومعناها : أحسنت أحسنت

ذلك في مواضع الدّساتين ؛ وهذا شيء لا تَفِي به[1] الجواري

قال له الواثق صدقتَ ، ولئن متّ لتموتنّ هذه الصناعة معك ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم

نسبة هذا الصوت

عُلّقَ قلبي ظبيةَ السّيبِ ،
جهلاً ، فقد أغْري بتعذيبي

نَمّت عليها ، حين مرّتْ بنا ،
مَجاسِدٌ يَنْفَحْن بالطيب[2]

تَصُدّها عنّا عَجُوزٌ لها
مُنْكَرةٌ ، ذات أعاجيب[3]

فكلّما هَمْتُ بإتيانها
قالت : تَوَقّيْ عَدْوةَ الذّيبِ[4]

الشعر والغناء لابراهيم

---

١ لا تفي به : لا تأتي به وافياً

٢ المجاسد ، واحدها مجسد القمصان المصبوغة بالجسد اي الزعفران .

٣ منكرة مبغضة مكروهة

٤ همت باتيانها : نويته وأردته ، اصله هممت حذفت احدى ميميه للتخفيف

بخله بالغناء

حدّثتني[1] دِمَنْ جاريةُ إسحاقَ الموصليّ ، وكانت من كبار جواريه وأحظى مَنْ عنده ، ولقيتُها فقلت لها أيّ شيء أخذتِ عن مولاك من الغناء ؟

فقالت لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتاً قطّ ! كان أبخلَ بذلك ، وما أخذتُ منه قطّ إلاّ صوتاً واحداً ، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مُثْخَنٌ سكراً ، فدخل إلى بيت كان ينام فيه ، فرأى عوداً معلّقاً فأخذه بيده ، وقال لخادمه يا غلام ، صِحْ لي بدِمَنْ ؛ فجاءني الغلام فخرجتُ ، فلما بلغتُ البابَ إذا هو مستَلْقٍ على فراشه والعودُ في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده ، وقد اسْحَنْفَرَ[2] في نَغَمِه وتنوّق[3] فيها حتى استقام له ، وهو

ألا ليلُكِ لا يَذْهَبْ ،
ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ[4]

وهذا الصّبحُ لا يأتي
ولا يدنو ولا يقرُب

---

[1] الحديث لمحمد اليزيدي .
[2] اسحنفر في الشيء : مضى فيه ولم يتمكث
[3] تنوق في الشيء : جوده وتأنق فيه .
[4] نيط علق .

فلمّا سمعتُه علمتُ أني إن دخلتُ اليه أمسكَ ، فوقفت أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه ؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده ، وذكر أنه قد طلبني فقال يا غلام ، أين دِمَن ؟

فقلت هأنذي

فقال مذ كم أنتِ واقفة ؟

فقلت منذ ابتدأتَ بالصوت وقد أخذتُه

فنظر إليّ نَظَرَ مُغضَبٍ أسِفٍ ، ثم قال غنّيه

فغنّيته حتى استوفيتُه

فقال لي وقد فتَرَ وخجِل قد بقِيتْ عليكِ فيه بقيّة أنا أُصلحها لك

فقلت : لست أحتاج إلى اصلاحك اياه ، وقد والله أخذتُه على رَغمِك.

فضحك

الشعر والغناء لاسحاق

يهزأ بابراهيم بن المهدي

أخبرنا يحيى بن عليّ قال قال لي إسحاق

كنتُ عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ ، فغنّى إبراهيمُ صوتاً لابن جامع أخَلّ ببعضه ، ثم قال يا أمير المؤمنين ، ترَكَ ابنُ جامع الناسَ يجيلُون خلفَه ولا يلحَقونه وفي هذا الصوت خاصّة

فقلت والله يا أمير المؤمنين ، ما صدق ، وما هذا الصوت بتامّ الأجزاء

فقال كذب والله يا أمير المؤمنين

فقلت يا سيّدي، أنا أوقفه على نقصانه ، فمُرْه فليُعِدْ يا أمير المؤمنين

فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمع في الاصابة

فقلت آفته في البيت الثاني ، فليردُدْه

فردّه فنقص من أجزائه وقِسمته ، فعرّفته فأقرّ به ؛ فقلتُ يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلّمني فيها ، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة

فقال أوَيُعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟

فأعفاه

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ عن إسحاق ، فذكر نحواً مما ذكره يحيى، وذكر أنّ القصة كانت بين يدي المعتصم، وزاد فيها فقال:

أنا اسأله عن ثلاثين مسألة وأوقِفه على خطئه فيها ، فإن لم يُقرّ بذلك أقرّ به مُخارِقُ وعلّويه

فقال أويُعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟ فإنه يَعْدِل عندي البُخْتُج[1]

---

[1] البختج : العصير المطبوخ

قلت يا أميرَ المؤمنين ، وما يفعل البُخْتُج ؟

قال يُسْلِحُ

قلت قد والله فعل ذلك كلامي به ، ومنه هرب

فضحك وغطّى فاه وقام ؛ فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المُصْعَبيّ أنّي قد أغضبته ، فضرب بيده الى السيف ؛ فقلت له لا تحسَبْ أني أغضبتُه ؛ فما كنت لأكلّم عمّه بين يديه بهُزْء منّ غير إذنه

فأمسك ؛ وكان لا يُقْدِم أحد ان يكلّم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن إلا بادر الى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له

يفهم الخطأ بين ثمانين وتراً

دعاني[1] المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجْلس عَشْراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهنّ العيدانُ يضربنَ بها ؛ فلما دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرتُه ؛ فقال المأمون يا إسحاق ، أتسمع خطأً ؟

فقلت نعم والله يا أمير المؤمنين .

فقال لابراهيم هل تسمع خطأ ؟

فقال لا

فأعاد عليّ السؤال

---

١ الحديث لاسحاق .

فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين ، وانه لفي الجانب الأيسر

فأعاد إبراهيم تَسمُّعَه الى الناحية اليسرى ثم قال لا والله يا أمير المؤمنين ، ما في هذه الناحية خطأ

فقلت يا أمير المؤمنين، مُرِ الجواريَ اللواتي على اليمين يُمسِكْنَ ، فأمرهنّ فأمسكْنَ

فقلت لابراهيم هل تَسمع خطأ ؟

فتسمّع ثم قال ما هاهنا خطأ

فقلت : يا أمير المؤمنين ، يُمْسِكن وتضرب الثامنة

فأمسكْنَ وضربتِ الثامنة

فعرف إبراهيمُ الخطأ ، فقال نعم يا أمير المؤمنين ، هاهنا خطأ

فقال عند ذلك لابراهيم يا إبراهيم ، لا تُمارِ إسحاقَ بعدها ، فإن رجلًا فهِم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حلْقاً لجديرٌ ألا تماريَه

فقال صدقتَ يا أمير المؤمنين

وقال الحسين بن يحيى في خبره وكان في الأوتار كلّها مَثْنَى فاسدُ التسوية وقال فيه فطرِب أمير المؤمنين المأمون ، وقال لله درُّك يا أبا محمد ! فكنّاني يومئذ

اسحاق من نعم الملك

سمعتُ[1] الواثق يقول ما غنّاني إسحاق قطُّ إلا ظننتُ أنه قد

---

[1] الحديث لاحمد بن حمدون

زيد لي في مُلكي، ولا سمعته يغنّي غناء ابن سُريج إلا ظننت ان ابن سريج قد نُشر ، وانه ليحضُرني غيرُه إذا لم يكن حاضراً ، فيتقدمُه عندي وفي نفسي بطيب الصوت ، حتى اذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص ؛ وإنّ إسحاق لنعمةٌ من نعم المُلْك التي لم يُحْظَ بمثلها ؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط مما يُشْترى لاشتريتهنّ له بشَطْر ملكي

قاضي القضاة واسحاق

سأل اسحاقُ الموصليّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المغنّين ، فاذا أراده للغناء غنّاه ؛ فأجابه الى ذلك ؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء ؛ فأذن له

قال[1] فحدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أنه كان هو ومُخارق وعَلّويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوس المأمون وخروجَ الناس من عنده ، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سَوادُهُ وطَويلتُه[2] ، ويدُه في يد إسحاق يماشيه ، حتى جلس معه بين يدي المأمون ، فكاد عَلّويه أن يُجنّ ، وقال يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هذا ! يدخل قاضي القضاة ويدُه في يد مغنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة !

---

١ الحديث لعلي بن يحيى المنجم .

٢ السواد : شعار بني العباس كان يرتديه أشياعهم . والطويلة : قلنسوة عالية مدعمة بعيدان كان يلبسها القضاة

ثم مضت على ذلك مدة ، فسأل إسحاقُ المأمونَ أن يأذن له في لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة

قال فضحك المأمون وقال ولا كلّ ذا يا إسحاق ! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ؛ وأمر له بها

منزلته عند الواثق

كان المغنّون جميعاً يحضرون مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلا إسحاقَ ، فإنه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمره الخليفة أن يغنّي أحضر له عوداً ، فاذا غنّى وفرغ سُلّ من بين يديه الى أن يطلبه

وكان الواثق كثيراً ما يكنّيه رفعاً له من أن يدعوه باسمه ؛ وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناءَ ولم يُعِد منه حرفاً إلا أن يكون في بعض بيت فيتمّه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

تفوقه في فنه

أخبرنا يحيى بن عليّ في خبر ذَكَر إسحاق فيه ، فقال وعارض مَعْبداً وابن سُرَيْج فانتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته ، ولم يَبلُغه ؛ وما رأيت بعد إسحاق مثلَه .

[illegible] إبراهيم بن المهدي

سمعت[1] علّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ: إن إبراهيم بن المهدي يَعيبك بتركك تحريكَ الغناء

فقال له إسحاق ليتنا نفي بما علمناه، فإنا لا نحتاج إلى الزيادة فيه.

ثم قال له فإنه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكُه، وتحريكُه عنده أن يكون كثير النّغَم، وليس يفعل ذلك، إنما يُسقِط بعضَ عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالاضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسْكدار[2] للكِتاب، وهو حينئذ بأن يُسَمّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المحرّكَ

فضحك عَلّويه ثم قال قال إبراهيم يسمّي غناءكم هذا المسك المِدَاديّ

قال إسحاق هذا من لغات الحاكة؛ لأنهم يسمّون الثوب الجافي[3] الكثير العرض والطول المداديّ، وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمّي غناءه المحرّك الضّرابيّ، وهو الخفيف السخيف[4] من الثياب في

---

١ الحديث لمحمد بن راشد الخناق .
٢ الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد .
٣ الجافي : الغليظ
٤ السخيف : القليل الغزل .

لغـة الحاكة ، حتى نُدخل الغناءَ في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة الملاهي

ثم قال لعلّـويه بحياتي عليك إلاّ ما أعدتَ عليه ما جرى

فقال له لا وحياتِك لا فعلتُ ، فإنه يعلم ميْلي إليكم ، ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخنّاق

فكلمه إسحاق واقسم عليه أن يُؤيده ، ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره ، فجعل كلما أخبره شيئاً تغيّظ وشتم إسحاق بأقبحِ شتم ؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره ؛ فجعل كلما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفّق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله

وإني[1] لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاقُ بن ابراهيم الموصليّ ، فسُررتُ بمكانه ؛ فقال قد جاءت بي إليك حاجة

قال قلت قل ما شاء الله

قال دَعْني في بيتك ، ودَعْ غلاميْك عندي : بُديحاً وسُليمانَ ، وكانا خادمين مغنّيين ، ومُرْهما أن يغنّياني ، وأتني بفلان ليغنّيني أيضاً ، بحياتي عليك ، وانطلقْ إلى ابراهيم بن المهديّ ، فانه سيُسرّ بمكانك ، فاشرب معه أقداحاً ، ثم قل له يا سيّدي ، أسألك عن شيء ، فإذا قال : سَلْ ، فقل له أخبرني عن قولك

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّي

---

[1] الحديث للخناق أيضاً

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنـه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلا أن تقول : «ذهبتو» بالواو ، فإن قلت «ذهبتُ» ولم تَمُدّها انقطع اللحن والشعر ، وان مددتها قبُح الكلام وصار على كلام النَّبَط .

فقلت له يا أبا محمد ، كيف أخاطب إبراهيم بهذا ؟

فقال هو حاجتي إليك وقد كلّفتك إياها ، فإن استحسنتَ أن تردّني فأنت أعلم

قال : أفعل ذلك لموضعك على ما فيه عليّ

ثم أتيتُ إبراهيم ، وجلست عنده مَليّاً ، وتجارَينا الحديثَ إلى أن خرجنـا الى ذكر الغناء ، فخاطبته بمـا قال لي إسحاق ، فتغيّر لونه وانكسر ، ثم قال يا محمد ، ليس هذا من كلامك ، هذا من كلام الجُرْمُقانيّ ؛ قل له عنّي : أنتم تصنعون هذا للصناعة ، ونحن نصنعه للّهو واللعب والعَبث

قال فخرجتُ إلى إسحاق فحدّثته بذلك فقال : الجُرْمُقاني والله مِنّا أشبهُنا بالجَرَامِقة لغةً وهو الذي يقول «ذهبتو»

وأقام عندي يومَه فرِحاً بما بلّغته إبراهيم عنه من توقيفه على خطئه .

الصديق الرديء

قال عليّ بن محمد : قال لي أبي

كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما ؛ فإنه طابق[1]

---

[1] طابقه على الأمر : وافقه ومالأه .

المهديّ عليه، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره. وكان في ا [illegible] نقلٌ للأ[illegible]؛ فقال فيه إسحاق

وندْمانِ صدْقٍ لا تُخاف أذاتُه،
ولا يلفِظ الأخبارَ لفظَ ابن راشدِ

دعاني إلى ما يشتهي، فأجبتُه
إجابةَ محمود الخلائق ماجدِ

فلا خيرَ في اللذّات إلاّ بأهلها،
ولا عيشَ إلا بالخليل المُساعدِ

قال فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق؛ فهجَوْه بأشعار لم تبلغ مرادَه فلم يُظهرها وبلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه

وأبيات شعر رائعات كأنها،
إذا أُنشدت في القوم، من حُسنها سِحْرُ

تحفّزَ واقْلَوْلَى، لردّ جوابها،
أبو جعفر يَغْلِي، كما غَلَتِ القِدْرُ[1]

فلم يستطعها، غير أنْ قد أعانه
عليها أُناس كي يكونَ له ذكر

---

[1] تحفز: تهيأ للوثوب. اقلولى: وقف على رجليه ولم يستو قائماً.

فيا ضيعةَ الأشعار ، إذ يَقرِضونها ،
وأضيَعُ منها من يَرى أنها شِعر

قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاقَ واستكفّه وصالحه، فرجع إليه.

ابن المهدي يسرقه

ان[1] إبراهيم بن المهديّ طرَح في منزل أبيه

أمِنْ آلِ لَيْلى عرفتَ الطلولا ،
بذي حُرُضٍ ، ماثلاتٍ مُثولا[2]

بَلِينَ ، وتحسَب آياتِهنّ ،
عن فَرْط حوليْن، رِقّاً مُحيلا[3]

الشعر لكعب بن زهير والغناء لاسحاق قال فجاءنا إسحاق يوماً ، وأقام عند أبي ، وأخرجنا إليه جوارينا ، ومرّ الصوت الذي طرحه إبراهيم بن المهديّ من غنائه ؛ فقال إسحاق: من أينَ لك هذا ؟

قال طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى

فقال إسحاق وما لأبي إسحاق أعزّه الله ولهذا الصوت ! هـذا أنا صنعتُه ، وليس هو كما طرَحه

---

١ الحديث لمحمد بن واضح .

٢ ذو حرض : واد لبني عبد الله بن غطفان .

٣ فرط مضي . المحيل الذي أتت عليه أحوال أي سنون

قال فسأله أبي أن يغنّيه

فغنّاه وردّده حتى صحّ لمن عنده ؛ فقال لي أبي اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إليّ فاحتبستُه ، وأنه غنّى بحضرتي الصوتَ الذي ألقيتَه في منزلك الذي أسكنه ، فزعَم أنه صنعه ، وأنه ليس على ما أخذه الجواري عنك ، فأحببت أن أعلم ما عندك ، جعلني الله فداك

قال فكتبتُ الرُّقعة وأنفذتها إلى إبراهيم فكتب نعم ، جُعلتُ فِداك ، صدَق أبو محمد أعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما ذكره ، لكني لعِبت في وسطه لعباً أعجبني .

فقرأ إسحاقُ الرقعة فغَضِب غضباً شديداً ، ثم قال لي : اكتب إليه : إذا أردْتَ يا هذا أن تلعب فالعبْ في غناء نفسك لا في غناء الناس ، وما حاجتُك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فاصنع أنت إن كنت تُحسن ، والعبْ في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غير مُشارك في جِدّ الناس بلعبك ومُفْسد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أيّدك الله ، ليس هذا الصوت مما يتهيّأ لك أن تُمَخرق[1] فيه وتقول : جَنْدَرْتُه[2]

قال وكان إبراهيم يقول إنه يُجَنْدِر صنعةَ القدماء ويحسّنها.

---

[1] مخرق : موه .

[2] جندرته : أصلحته وصقلته

مناظرته لابن المهدي عند المعتصم

قال عليّ بن محمد حدّثني جدّي حَمْدُون

أنّ إسحاق قال لابراهيمَ بن المهديّ بحضرة المعتصم: ما تقول فيمن يزعم أنّ ابن سُرَيْج وابن مُحْرِز ومَعْبداً ومالكاً وابنَ عائشة لم يكونوا يُحْسنون تمام الصّنعة ولا استيفاء الغناء، ويعجِزون عما به يكمُل ويتِمّ ويحسُن، وأنه أقدر على الصنعة منهم؟

قال أقول إنه جاهل أحمق

قال فأنت تزعم أنه قد كانت بَقِيَتْ عليهم أشياءُ لم يهتدوا لها ولم يحسّنوها، فتنبّهتَ عليها أنت وتمّمْتها وحسّنْتَها بحَذَرَتك

قال فضحك المعتصم وبقي إبراهيمُ واجماً مُطرِقاً، ولم ينتفع بنفسه بقيّة يومه؛ وما سمعتُه أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدّمين، حتى يُطنِب في صنعته ويُشتهى استماعُه منه، كما كان يدّعِي قديماً

قال وكان حَمْدون يقول كان إبراهيم يأكل المغنّين أكلًا، حتى يحضُر إسحاق، فيُداريه إبراهيم ويطلب مكافأته، ولا يدَعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَهُ؛ وكان إسحاقُ آفتَه، كما أن لكل شيء آفة

يتغنى بشعر ذي الرمة

خرجت[1] يوماً من داري وأنا مَخْمورٌ أتنسّم الهواء ، فمررت برجل يُنشد رجلاً معه لذي الرُّمّة

ألم تعلمي يا مَيُّ أنّي ، وبينَنا
مَهَاوٍ لطَرْفِ العين فيهنّ مطْرَحُ[2]

ذكرتكِ أن مرّتْ بنا أمُّ شادنٍ ،
أمامَ المَطَايا تَشْرئبّ وتَسْنَحُ[3]

من المؤلفاتِ الرملِ أدماءُ ، حُرّةٌ ،
شُعاعُ الضّحى في متنها ، يتوضّحُ[4]

هي الشِّبْهُ أعطافاً وجِيداً ومُقْلةً ،
ومَيّةُ منها ، بَعْدُ ، أبهى وأملَحُ

---

١ الحديث لاسحاق
٢ مهاو ، جمع مهواة وهي ما بين الجبلين ، يريد انها بعيدة بعداً يسرح معه الطرف .
٣ أم شادن كنية الظبية ، والشادن ولدها الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عنها. تشرئب ترفع رأسها
المؤلفات الرمل التي الفته وسكنت اليه الادماء البيضاء في غبرة . الحرة : الكريمة
يتوضح : يبرق

كأنَّ البُرى والعاجَ عِيجتْ مُتونُهُ
على عُشَرٍ، نَهّى به السيلَ أبطحُ[1]

لئن كانت الدنيا عليَّ، كما أرى،
تَبَاريحَ من مَيٍّ، فلَلموتُ أروحُ

فأعجبني، فصنعت فيه لحناً غنّيتُ به المأمونَ، فأخذتُ به منه مائة ألف درهم

غلاما ابن الرشيد

حدّثني يحيى بن محمد الطّاهريّ قال حدّثني ينشو مولى أبي أحمد ابن الرشيد قال

اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد، واشترى رَفيقي محموماً، فدَفعنا الى وكيل له أعجمي خُراسانيّ، وقال له: انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصليّ؛ ودفع إليه مائة ألف درهم، وشِهْرِيّاً[2] بسَرْجه ولِجامه، وثلاثة أدراجٍ[3] من فِضّة مملوءة طيباً، وسبعة

---

١ البرى، واحدتها برة الخلاخيل والحلق. العاج: اسورة من العاج. عيجت لويت العشر: شجر ناعم لين مستو نهى به أبانه وأوصله شبه ساعديها وساقيها بالعشر في استوائه ولينه.

٢ الشهري ضرب من البراذين.

٣ الأدراج، واحدها درج شيء صغير كالقفة تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها

تُخوتٍ[1] من بَزٍّ[2] خُراسانيّ، وعشرةَ أسفاط[3] من بَزّ مصر، وخمسةَ تخوتِ وَشْيٍ كوفيّ، وخمسة تخوتِ خَزٍّ سوسِيّ، وثلاثين ألف درهم للنفقة

وقال للرسول عرِّف إسحاقَ أنّ هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان، وَجّه بهما إليه ليتفضّل ويعلّمهما أصواتاً اختارها، وكتبها له في دَرج[4]

وقال له كلما علّمهما صوتاً ادفع اليه ألف درهم، حتى يتعلّما بها مائة صوت، فإذا علّمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشّهْريّ، ثم إذا علّمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فادفع إليه بكل صوت دُرْجاً من الأدراج، ثم لكل صوت بعد ذلك تَخْتاً أو سفَطاً، حتى يَنْفَد ما بعثتُ به معك

ففعل، وانحدرنا الى بغداد، فأتينا إسحاق، وغنّينا بحضرته، وبلّغه الوكيلُ الرسالةَ؛ فلم يزل يُلقي علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمرنا سيّدُنا

ثم سرْنا إلى سُرّ مَنْ رأى، فدخلنا إليه وغنّيناه جميعَ ما أخذْناه فسرّه ذلك

وقَدِم إسحاقُ سُر مَنْ رأى، ولقيه مولانا، فدعا بنا وأوصانا

---

١ التخت وعاء تصان فيه الثياب .

٢ البز : الثياب من القطن او الكتان

٣ أسفاط ، واحدها سفط وعاء كالجوالق او كالقفة .

٤ الدرج : الذي يكتب فيه .

بما أراد ، وغدا بنا الى الواثق وقال إنكما ستَرَيان إسحاقَ بين يديه ، فلا تُسلّما عليه ولا تُوهِماه أنكما رأيتماه قطّ

وألبَسَنا أَقْبيةً خُراسانية ومضينا معه ؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له يا سيّدي ، هذان غلامان اشتُريا لي من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة

فقال غنّيا

فضربنا ضرباً فارسيًّا وغنّينا غناءً فهليذيًّا فطَرِب الواثق وقال أحسنتما ، فهل تغنّيان بالعربية ؟

قلنا نعم

واندفعنا نغنّي ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه ، حتى غنّينا اصواتاً من غنائه

فقام إسحاق ثم قال للواثق وحياتِك يا سيّدي وبَيْعتِك ، وإلاّ كلّ مِلْكٍ لي صدَقة وكل مملوك لي حُرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومِن قصّتهما كيت وكيت

فقال له أبو أحمد ما أدري ما تقول ! هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراسانيّ

فقال له بلَغ وَلْعُكَ[1] إليّ ! ونَخّاس خراسانيّ من أين يحسن أن يختار مثلَ تلك الأغاني !

---

[1] الولع : الكذب .

فضحك أبو أحمد، ثم قال: صدق، أنا احتلت عليه ولو وهبت أن يعلمهما ما أخذاه منه، إذا علم أنهما لي، بعشرة أضعاف ما أعطيته لما فعل

فقال له إسحاق: قد تمت عليّ حيلته

وقال أبو أحمد للواثق: إن أردتهما فخذهما

فقال: لا أفجعك بهما يا عمّ، ولكن لا تمنعني حضورهما

فقال له: قد بذلتُ لك الملْك فلم تؤثِرْه، أفتراني أمنعك الخدمةَ!

فكانتا تخدمه بنوبة

كان في ندماء الواثق 

حدّثني[1] ابن فيلا الطُّنْبُوريّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه، قال

قال الواثق في بعض العشايا: لا يبرحْ أحدٌ من المغنّين الليلةَ، فقد عزمتُ على الصَّبُوح في غد

فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلا إسحاقَ فإنه قال له: لا وحياتِك ما أبيتُ

---

١ الحديث لأبي عبد الله بن حمدون

قال فلا والله ما كان له عند الواثق مسار ... من أن قال له فبحياتي إلاّ بَكّرتَ يا أبا محمد

قال فرأيت مخارقاً وعَلّويه قد تقطّعا غيظاً ، وبِتْنا في بعض الحُجَر ، فقالا لي اجلس على باب الحجرة ، فإذا جاء إسحاق فعرّفنا حتى ندخل بدخوله

فلم نلبث أن جاء إسحاق مع أحمد بن أبي دُؤاد يماشيه في زِيّه وسَوادِه ، وطَويلتُه مثل طويلته ، فدخلت فأعلمتهما ؛ فقامت على عَلّويه القيامة وقال : يا هؤلاء ، خيناكر[1] يدخل الى الخليفة مع قاضي القضاة ! أسمعتم بأعجبَ من هذا البَخْت قطّ !

فقال له مُخارِق دَعْ هذا عنك ، فقد والله بلغ ما أراد

ولم نلبث أن خرج ابن أبي دُؤاد ودُعِيَ بنا فدخلنا ، فإذا إسحاق جالس في صف الندماء لا يخرج منه ، فإذا أمره الواثق أن يُغنّي خرج عن صفّهم قليلاً وأُتي بعود فغنّى الصوتَ الذي يأمره به ؛ فإذا فرَغ من القَدح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ ولم يُتِمّه ، ورجع الى صفّ الجلساء

هو وابن المهدي عند الرشيد

قال لي ابي[2] : كنت عند الرشيد يوماً ، وعنده ندماؤه وخاصّته

---

[1] الخيناكر المغني المضحك

[2] الحديث لحماد بن اسحاق

وفيهم إبراهيم بن المهديّ ، فقال لي الرشيد يا إسحاق تغنَّ

شربتُ مُدامةً وسُقِيت أخرى ،
وراح المُنتشون ومـــا انتشيت

فغنّيته ؛ فأقبـل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت

فقلت ليس هذا مما تُحسنه ولا تعرفه ، وإن شئت فغنّه ، فإن لم أجدْك أنك تُخطيء فيه منذُ ابتدائك الى انتهائك فدمي حلال

ثم أقبلت على الرشيد فقلت يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة أبي ، وهي التي قرّبتْنا منك واستخدمتْنا لك وأوطأتْنا بساطَك ، فإذا نازعَنا أحدٌ بلا علم لم نجد بُدّاً من الإيضاح والذّبّ

فقال لا غروَ ولا لوم عليك

فقام الرشيد ليبول ؛ فأقبـــل إبراهيم بن المهديّ عليّ وقال وَيْلَك يا إسحاق ! أتجترىء عليّ وتقول ما قلتَ يابن

فداخلني ما لم أملك نفسي معه ؛ فقلت له أنت تشتِمُني ، وأنا لا أقدِر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول الك يابن... ؛ أوَتُرى أنّي كنت لا أُحسن أن أقول لك يابن... ولكن قولي في ذمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأعْلَم[1] ، ولولاك لذكرتُ صناعتَه ومذهبه

---

[1] الأعلم الذي بشفته العليا أو في جانبيها شق

قال إسحاق وكان بَيْطاراً

قـال ثم سكتُّ ، وعلمتُ أنّ إبراهـيم يشكوني وأن الرشيد سوف يسأل مَنْ حضر عما جرى فيخبرونه، فتلافيتُ ذلك ، ثم قلت: أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدني بذلك وتُعاديني كما تُعادي سائرَ أولياء أخيك حَسَداً له ولولده على الأمر ! فأنت تضعُف عنه وعنهم وتستخِفّ بأوليائهم تَشَفّياً ، وأرجو ألاّ يُخرجها الله عن يَدِ الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ؛ فإن صارت اليك ، وبالله العياذ ، فحرامٌ عليّ العيشُ يومئذ ، والموت أطيب من الحياة معك ، فاصنعْ حينئذ ما بدا لك

قال فلمّا خرج الرشيد وثَب إبراهيم فجلس بين يديه فقال يا أَمير المؤمنين ، شتَمني وذكر أمي واستخفّ بي

فغضِب وقال ما تقول ؟ ويلك !

قلت لا أَعلم، فسَلْ مَنْ حضر

فأقبل على مسرورٍ وحُسَين[1] ؛ فسألهما عن القصّة ؛ فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربد[2] إلى أن انتهيا الى ذكر الخلافة ، فسُرّي عنه ورجع لونُه ، وقال لابراهيم ما له ذنب ، شتمتَه فعرّفك أنه لا يقدِر على جوابك ، ارجع الى موضعك وأمْسِك عن هذا .

---

١ مسرور وحسين خادمان كانا للرشيد

٢ يتربد : يتغير

فلما   المجلس وانصرف الناس أمر بألا أبرح ، وخرج كلُّ من حضر حتى لم يبقَ غيري ؛ فساء ظنّي وأهمّتني نفسي ؛ فأقبل عليّ وقال : ويلك يا إسحاق ! أتُراني لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنّيته[1] ثلاث مرات ، أتُراني لا أعرف رقائمك وأقدامك وأين ذهبت ! ويلك ! لا تَعُدْ ؛ حدّثني عنك ، لو ضربك إبراهيم ، أكنت أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل ؟ ! أتُراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنت أقتله بك ؟ !

فقلت   يا أمير المؤمنين ، قد والله قتلتَني بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنّي ، وما أشك في أنه قد بلغه الآن

فصاح بمسرور الخادم وقال   عليّ بإبراهيم الساعة

فأحضر ، وقال   قم فانصرف

وقلت لجماعة من الخَدَم ، وكلّهم كان لي مُحِبّاً وإليّ مائلاً ولي مُطيعاً   أخبروني بما يجري ؛ فأخبروني مِن غد أنه لمّا دخل وبّخه وجهّله وقال له   أتستخفّ بخادمي وصَنيعتي ونَديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي ، وتُقْدِم عليّ وتستخفّ بمجلسي وحضرتي ؟

هاه هاه[2] ! أتُقدم على هذا وأمثالِه ! وأنت ما لَكَ وللغناء ، وما

---

١ زناه : قذفه ونسبه الى الزنا .

٢ هاه هاه : حكاية لضحك الضاحك وللوعيد .

يُدريك ما هو! ومَنْ أَخذك به وطارحك إياه حتى تتوهّم أنك تبلُغ مبلغَ إسحاق الذي غُذِي به وعُلّمه وهو صناعته!

ثم تظن أنك تُخطّئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشَتْمه! أليس هذا مما يدُلّ على السُّقوط وضعفِ العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وغَلَبةِ لذّتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تُحكمه، وادّعائك ما لا تعلمه حتى ينسُبَك الناس إلى الجهل المُفْرط!

أَلا تعلم، وَيْلَك، أنّ هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلّة مبالاة بالخطإ والتكذيب والردّ القبيح!

ثم قال: والله العظيم وحقِّ رسوله، وإلا فأنا نَفِيٌّ من المهديّ، لئن أصابه أحدٌ بسوء، أو سقط عليه حجرٌ من السماء، أو سقط من على دابّته، أو سقط عليه سقفه، أو مات فجأة، لأقتلنّك به؛ والله! والله! والله! فلا تعرِض له وأنت أعلم، قم الآنَ فاخرجْ

فخرج وقد كاد أن يموت. فلما كان بعد ذلك دخلتُ إليه وإبراهيم عنده، فأعرضتُ عن إبراهيم؛ وجعل ينظر إليه مرّة وإليّ مرة ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبّتك في إسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه، وإنّ هـذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلاّ بعد أن يرضَى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف حقّه وبِرّه وصِلْه، فإذا فعلت ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتَه بيد منبسطة ولسان منطلق

ثم قال لي قم الى مولاك وابن مولاك فقبّلْ رأسه
فقمتُ إليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

أعاذِلَ قد نَهَيْتِ فما انتهيتُ،
وقد طال العتابُ فما ارعويتُ

أعاذل ما كبِرتُ، وفيَّ مَلْهىً،
ولو أدركتُ غايتكِ انتهيتُ

شَربتُ مُدامةً وسُقيت أُخرى،
وراح المنتشون وما انتشيتُ

أبيتُ مُعنَّفاً قلقاً كئيباً،
لِما ألقاه من ألمٍ وفَوْتِ[1]

الغناء لابن مُحْرِز

يغني الرشيد وينادمه

حدّثنا[2] حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال

أرسل إليّ الرشيد ذات ليلة، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه

---

١ في هذا البيت اقواء وهو اختلاف حركة الروي .
٢ الحديث لمحمد بن أبي الازهر

جاريةٌ عليها قميص مُورّد وسراويلُ مورّدة وقناعٌ مورّد كأنها ياقوتة على وردة ؛ فلما رآني قال لي اجلس

فجلستُ ؛ فقال لي غنّ

فغنّيت

تَشَكّى الكُمَيْتُ الجريَ لمّا جَهَدتُه ،
وبيّن لو يَستطيعُ أن يتكلّما

فقال لمن هذا اللحن ؟

فقلت لي يا أمير المؤمنين

فقال هاتِ لحنَ ابن سُرَيج

فغنّيته إياه

فطرب وشرب رِطلًا وسقى الجاريةَ رطلًا وسقاني رطلًا؛ ثم قال غنِّ فغنّيته

هاجَ شَوقي ، بَعدَما
شَيّب أصداغي ، بُروقُ

مَوهِناً ، والبَرْقُ ممّا ،
ذا الهوى قِدْماً ، يَشُوقُ[1]

---

[1] الموهن نحو من نصف الليل

فقال لمن هذا الصوت ؟

فقلت لي

فقال قد كنت سمعت فيه لحناً آخر

فقلت نعم ، لحن ابن مُحْرِز

قال هاته فغنّيته فطرب وشرب رطلاً ، ثم سقى الجارية رطلا وسقاني رطلاً ؛ ثم قال غنّ فغنّيته

أفاطم مهلًا بعضَ هذا التدلُّلِ ،
وإن كنتِ قد أزمَعْتِ صرمي فأجملي

فقال لي ليس هذا اللحن أريد ، غَنّ رَمَل ابن سُريج

فغنّيته وشرب رطلاً وسقى الجارية رطلاً ؛ ثم قال حدّثْني

فجعلت أُحدّثه بأحاديث القِيان والمغنّين طَوراً وأحاديثِ العرب وأيامها وأخبارها تارة، وأُنشِده أشعار القدماء والمحدّثين في خلال ذلك، إذ دخل الفضلُ بن الرّبيع ، فحدّثه حديثَ ثلاث جوارٍ مَلَكَهُنّ ووصَفهنّ بالحُسْن والاحسان والظّرف والأدب؛ فقال له : يا عبّاسيّ، هل تَسْخُو نفسُك بهنّ ؟ وهل لك من سَلْوةٍ عنهنّ ؟

فقال له والله يا أمير المؤمنين ، إني لأسخو بهنّ وبنفسي ، فبها فَداكَ الله

ثم قام فوجّه بهنّ إليه ، فغَلَبْن على قلبه ، وهنّ سِحْر وضياء وخُنْث ذات الخال ؛ وفيهنّ يقول

إنّ سِحْراً وضياءَ وخُنُثْ
هـنّ سِحْرٌ وضياءٌ وخُنُثْ

أخذتْ سحرٌ ، ولا ذنبَ لهـا ،
ثُلُثَـيْ قلبي وتِرْباها الثُّلُثْ

ينادم ابن عائشة

حدّثني الصّولي عن إسحاق قال

أتيت عُبيـد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة ، فلمّا دخلتُ إليـه حصِرتُ ، فقال لي إن الحَصَر رائدُ[1] الحَياء ، والحياء عَقيدُ الايمان ، فانبسِطْ وأزِلِ الوحشة ، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب ، لقد قرّبت بيننا الآداب

فقلت والله لقـد سررتَني بخطـابك ، وزِدتَني ببـرّك عجزاً عن جوابك ؛ ولله درّ القُطامِيّ حيث يقول

أمّا قريشٌ فلن تلقاهمُ أبداً ،
إلا وهم خيرُ من يَحْفى ويَنتعِلُ

---

[1] الرائد : الرسول والمرسل

هدية وشعر بشعر

وجّه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رطْب و كتب إليه

اشربْ على الزعفرانِ الرَّطْبِ متكئاً؛
وانعمْ نَعِمْتَ بطول اللّهو والطَّربِ

فحُرمة الكأس، بين الناس، واجبةٌ،
كحرمة الوُدّ والأرحام والأدب

قال فكتب إليه إسحاق

اذكر أبا جعفرٍ حقّاً أمُتُّ به،
أنّي وإياك مشغوفان بالأدبِ

وأننا قد رضعنا الكأس دِرّتها؛
والكأسُ حرمتُها أولى من النَّسبِ[1]

يودع بشعر

لمّا أراد[2] الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعتُه، ثم أنشدته بعد التوديع

---

١ درتها : ما تدر به ، والاصل في ذلك اللبن ، واستعير للخمر

٢ الحديث لاسحاق .

فِراقُكَ مثل فراق الحياةِ،
وفقدُكَ مثلُ افتقاد الدِّيَمْ[1]

عليكَ السلامُ فكم من وفاء
أفارق فيك ، وكمْ من كَرَمْ

قال فضمّني إليه ، وأمر لي بألف دينار ، وقال لي يا ابا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتَهما من يصلُح من الخارجين معنا ، لأهْدَيْتَ بذلك إليّ أنْساً وأذكرتَني بنفسك

ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين ، فكان كتابه لا يزال يرد عليّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُني بذلك كلما غنّي بهذا الصوت



مكتبته السيارة

أخبرني عمي عن إسحاق قال

قال لي الأصمعيّ لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الرّقّة قال لي: هل حملت معك شيئاً من كتبك ؟

فقلت نعم ، حملتُ منها ما خفّ حمله

فقال كم ؟

فقلت ثمانيةَ عشرَ صُندوقاً

---

١ الديم ، واحدتها ديمة : السحابة التي يدوم مطرها

فقال هذا لمّا خفّفْتَ ، فلو ثقّلتَ كم كنت تحمل ؟

فقلت أضعافَها

فجعل يَعْجَب

شعره في المعتصم

حدّثني[1] إسحاق قال

لمّا ولي المعتصم دخلتُ إليه في جملة الجلساء والشعراء ؛ فهنّأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مُستنطِقاً ؛ فأنشدتُه

لاحَ بالمَفْرقِ منك القتيرُ
وذَوى غصنُ الشبابِ النضيرُ[2]

هزئتْ أسماءُ مني ، وقالتْ
أنت يابنَ الموصليّ كبيرُ

ورأت شيْباً برأسي ، فصدّت ،
وابنُ ستّين بشَيْبٍ جديرُ

لا يَرُوعنّكِ شَيْبي فإنّي ،
مع هذا الشّيب ، حلْوٌ مَزيرُ[3]

---

١ الحديث لعمر بن شبة .

٢ المفرق وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر القتير اول ما يبدو من الشيب .

٣ المزير : الظريف .

قد يُفَلُّ السيف ، وهو جرازٌ ،
ويَصُول الليثُ ، وهو عَقِيرُ[1]

يا بني العبّاس ! أنتمْ شفاءٌ ،
وضياءٌ للقُلوب ، ونورُ

أنتمُ أهل الخلافةِ فينا ،
ولكم مِنبرُها والسريرُ

لا يزال المُلك فيكم ، مدى الدّهْرِ ،
مُقيماً ما أقام ثَبِيرُ[2]

وأبو إسحاق خير إمامٍ ،
ما له في العالمين نظيرُ

ما له ، فيما يَريش ويَبْري ،
غيرَ توفيق الاله ، وزيرُ[3]

واضح الغرّةِ للخير فيه ،
حين يبدو ، شاهدٌ وبشيرُ

---

١ الفل ثلم ينال حد السيف الجراز الماضي العقير المجروح .
٢ ثبير جبل بين مكة وعرفة
٣ راش السهم ألزق عليه الريش . برى السهم: نحته . ويريد في قوله « فيما يريش ويبري » كل ما يقوم به من أعمال .

زانَه هدْيٌ تُقىً وجلالٌ ،
وعفافٌ ووقارٌ وخِيرْ

لو تُباري جودَه الريحُ يوماً ،
نَزَعَتْ ، وهي طليحٌ حسيرْ[1]

في مقدمه من غزاته

قال فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة ثم دخلتُ إليه يوم مقدمه من غَزاته ، فأنشدتُه قولي فيه

لأسماءَ رسمٌ عفا باللّوى ،
أقامَ رهيناً اطول البِلى

تعاوَرَه الدهرُ في صَرْفه ،
بكَرِّ الجديدين حتى عفا[2]

إذِ البينُ لم تُخْشَ رَوْعاتُه ،
ولم يصرِفِ الحيَّ صَرْفُ الرَّدى[3]

وإذ مَيْعةُ اللهو تجري بنا ،
وحبلُ الوصال متينُ القُوى[4]

---

١ الطليح : التعب الهزيل . الحسير : الكليل

٢ الجديدان : الليل والنهار

٣ روعاته : فزعاته . يصرف الحي : يدفعه . صرف الردى : دافع الموت .

٤ الميعة : أول كل شيء القوى طاقات الحبل ، واحدتها قوة

فذلك دهر مضى فابْكِه ؛
ومَنْ ضاق ذَرْعاً بأمرٍ بكى[1]

وهل يَشْفِيَنَّك ، من غُلَّةٍ ،
بكاؤك في إثْر ما قد مضى؟[2]

إلى ابن الرشيد إمامِ الهدى ،
بعثنا المطيَّ تَجُوب الفلا[3]

إلى مَلِكٍ حلَّ من هاشمٍ ،
ذُؤابةَ مجدٍ مُنيف الذُّرى[4]

إذا قيل أيّ فتى هاشمٍ
وسيّدُها كان ذاك الفتى

به نَعَش الله آمالَنا ،
كما نَعَش الأرضَ صَوْبُ الحَيا[5]

إذا ما نوى فِعْلَ أُكْرُومةٍ ،
تجاوز ، من جُوده ، ما نَوى

---

١ ضاق ذرعاً به لم يقدر على حمله .
٢ الغلة : العطش ، والحرارة في الجوف . وأراد هنا شدة الحزن
٣ تجوب تقطع
المنيف العالي الذرى ، واحدتها ذروة أعلى الشيء .
٥ الصوب المطر الحيا المطر وقوله صوب الحيا من باب اضافة الشيء الى نفسه

كساه الالـهُ رداءَ الجمـال ،
ونور الجـلال وهـدْيَ التقى

قال فأمر لي بجائزة ، وقال لستُ أحسب هذا الملك إلا بعد أن تَقْرِن صناعتك فيه بالأخرى ، يعني أن أغنّي فيه وفي « هَزِئتْ أسماءُ مني » ؛ فصنعتُ في

هزئت أسماء مني

لحناً ، وفي

لأسماء رسم عفا باللّـوى

لحناً آخر وغنّيته بهما ، فأمر لي بألفيْ دينار

لحن لاسحاق صعب

حدّثني[1] أحمد بن أبي العَلاء قال غنّيْتُ يوماً بين يدي الواثق لحنَ إسحاق في

هَزِئتْ أسماءُ منّي ، وقالت:
أنت يابنَ الموصـليّ كـبيرُ

قال : فنظر إليّ مخارقٌ نظراً شَزْراً وعضّ شَفَتَه عليّ، فلما خرجنا

---

١ الحديث لأبي يحيى بن علي

من بين يَدَي الواثق قلت يا أستاذ ، لمَ نظَرتَ إليّ ذلك النظرَ ؟ أأنكرتَ عليّ شيئاً أم أخطأتُ في غنائي ؟

فقال لي ويْحك ! أتدري أيّ صوت غنّيتَ ! إن إسحاق جعل صَيْحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيّق وعْر صعبِ المُرْتقى ، أحد جانبي ذلك الطريق حرفُ الجبل ، وعن جانبه الآخر الوادي ؛ فإن مال مُرتقيه عن مَحَجّته إلى جانب الوادي هَوى ، وإن مال الى الجانب الآخر نطَحه حرف الجبل فتكسّر ؛ صِرْ إليّ غداً حتى أصحّحه لك .

يبني لحنه على الاذان

أخبرني علي بن سليمان الأخفش

ان إسحاق بات ليلةً عند المعتصم ، وهو أمير ، فسمع لحناً لعبد الوهاب المؤذّن أذّن به على باب المعتصم ، فأصغى إليه فأعجبه ، فأعاد المَبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحنُ ؛ فبنى عليه لحنَه

هزئتْ أسماءُ منّي ، وقالتْ

هديته لابراهيم بن المهدي

أخبرني الحسن بن عليّ

أنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِد يوماً ، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف

خبرَه ويدعو له بالسلامة وحسن العُقبى ، وكتب إليه إني سأهدي اليك هديّةً للفَصْد حسنةً ؛ فوجّه اليه بُدَيحاً غلامه ، فغنّاه لحنَه في

هزئتْ أسماءُ منّي ، وقالتْ

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبِلنا الهديّة ، فإن كان أذِن لك في طَرْحه على الجواري فافعل

فقال له بذلك أمرني وقال لي انك ستقول لي هذا القول ، فقال إن قاله لك فقل له لو لم آمُرْك بطرحه لم يكن هديّة

فضحك إبراهيم ، وألقاه بُدَيح على جواريه

وقد ذكر عليّ بن محمد بن نصر هذا الخبر ، فذكر أنه كتب الى أبيه بهذه الهديّة ؛ وهذا خطأ لأن الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة ، وإبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد ، فكيف يُهدى اليه هذا الصوت !

محاورته لعلويه

حدّثني[1] أحمد بن يحيى المكيّ قال

دعاني الفَضْل بن الرَّبيع ودعا عَلُّوَيه ومخارِقاً ، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أنّ حاله كانت ناقصة متضعضِعة ؛

---

١ الحديث لابن الدهقانة النديم .

فلمّا اجتمعنا عنده كتب الى إسحاقَ الموصليّ يسأله أن يصير اليه ويُعلِمَه الحالَ في اجتماعنا عنده ، فكتب اليهم لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت ، وأنا أصير اليكم بعد ساعة

فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُب العصر ، ثم وافى إسحاقُ فجلس وجاء غلامه بقَطرَميز[1] نبيذ فوضعه ناحيةً ، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منه ، وكان عَلُّويه يغنّي الفضلَ بن الرّبيع في لحنٍ لِسيّاط اقترحه الفضل عليه وأعجبه ، وهو

فإن تَعجَبي ، أو تُبصري الدّهرَ طمّني ،
بأحداثه ، طَمَّ المقصَّص بالجَلَم[2]

فقد أترك الأضيافَ تَندى رِحالُهم ،
وأكرمُهم بالمَحض والتّامِك السَّنِم[3]

فقال له إسحاق أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت ، وأنا أُصلحه لك

فجُنّ عَلُّويه واغتاظ وقامت قيامته ؛ ثم أقبل علُّويه فقال له يا حبيبي ، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك ، وإنما أردتُ تهذيبَك

---

١ القطرميز قلة كبيرة من الزجاج
٢ طمني غمرني وقصني . الجلم المقص يريد ان الدهر غمره باحداثه كما يغمر الشعر المقصص بالجلم او انه قصه كما يقص الشعر ، فيكون في الكلام استعارة القص للاثخان
٣ المحض اللبن الخالص بلا رغوة التامك السنم العظيم السنام من الابل

وتقويمك ، لأنك منسوب الصواب والخطإ الى أبي وإليّ ، فإن كرهت ذلك تركتك وقلت لك أحسنت وأجملت

فقال له عَلُّويه : والله ما هذا أردتَ ، ولا أردت إلا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ! أخبِرْني عنك حين تجيء هذا الوقتَ لمّا دعاك الأمير وعرّفك أنه قد نشِط للاصطباح ما حملك على الترفّع عن مُباكرته وخدمته مع صنائعه عندك ، وما كان ينبغي أن يَشْغَلَك عنه شيء إلا الخليفة ! ثم تجيئه ومعك قَطْرَميزُ نبيذٍ ترفّعاً عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين تَنْشَط ، كما تفعل الأكفاء ، بل تَزيد على فعل الأكفاء ؛ ثم تَعْمِد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميعُ من حضر فما عابه منهم احد فتَعِيبه ليتمّ تنغيصُك إياه لذّته ! أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك الى مثل ما دعاك اليه الأمير ، بل بعضُ أتباعهم ، لبادرتَ وباكرتَ وما تأخّرتَ ولا اعتذرتَ

قال : فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلُّويه اسحاق ؛ فقال له اسحاق اما ما ذكرته من تأخّري عنه الى الوقت الذي حضرتُ فيه ، فهو يعلم أنّي لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع ، ان وثق بذلك منّي والا ذكرتُ له الحجة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل. وأمّا ترفّعي عنه ، فكيف أترفّع عنه وأنا أنتسب الى صنائعه واستمنحه واعيش من فضله مذ كنتُ ، وهذا تَضريب[1] لا أبالي به منك.

---

[1] التضريب الاغراء بين القوم.

وأما حملي النبيذَ معي، فإنّ لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه، وإن لم أجده لم أقدِر على الشرب وتنغّص علي يومئذ، وإنما حملته ليتمّ نشاطي وينتفعَ بي

وأما طعني على ما اختاره، فإني لم أطعن على اختياره، وإنما أردتُ تقويمَك، ولستَ والله تراني مُتتبعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقوّماً شيئاً من خطئك؛ وأنا أُغنّي له، أعزّه الله، هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك أخطأت فيه وقصّرت وأما البَرامكة وملازمتي لهم فأشهرُ من أن أجحده، وإني لحقيقٌ فيه بالمعذرة، وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم وبأن أُذيعه وأنشُرَه، وذلك والله أقلُّ ما يستحقّونه مني.

ثم أقبل على الفضلِ، وقد غاظه مدحُه لهم، فقال: اسمع مني شيئاً أُخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي، فإن وجدتَ لي عذراً وإلا فلُمْ.

كنت في ابتـــداء أمري نازلاً مع أبي في داره، فكان لا يزال يجري بـين غلماني وغلمـانه وجواريّ وجواريه الخصومـة، كما تجري بين هذه الطبقات، فيشكونهم اليه، فأتبيّن الضّجر والتنكّـرَ في وجهه؛ فاستأجرت داراً بقربه وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواريّ، وكانت داراً واسعة، فلم أرْضَ ما معي من الآلةِ لها ولا لمن يدخل إليّ من إخواني أن يَرَوْا مثلَه عندي؛ ففكرت في ذلك وكيف أصنع، وزاد فِكري حتى خَطَر بقلبي قُبْحُ الاحدوثة من نزول مثلي في دار بأجرة، وأني لا آمَنُ في وقت أن يَستأذن عليّ صاحبُ داري

وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي ، فيُقال صاحبُ دارك ، أو يُوجّه في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي من أحتشمه

فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامي بأن يُسْرِجَ لي حماراً كان عندي لأمضيَ الى الصحراء أتفرّج فيها بما دخل على قلبي ، فأسرجَه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفضى بي المسيرُ وأنا مفكر لا أميّز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد ؛ فتواثب غلمانه إليّ ؛ وقالوا أين هذا الطريق ؟

فقلت الى الوزير

فدخلوا فاستأذنوا لي ؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيتُ خَجِلًا ، قد وقعتُ في أمرين فاضحين إن دخلت اليه برداء ونعل وأعلمته أنّي قصدته في تلك الحال كان سوءَ أدب ، وإن قلت له كنت مجتازاً ولم أقصدك فجعلتك طريقاً ، كان قبيحاً

ثم عزمتُ فدخلتُ ؛ فلمّا رآني تبسّم وقال ما هذا الزّيّ يا أبا محمد ! احتبسنا لك بالبر والقَصْد والتفقّد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً.

فقلت لا والله يا سيّدي ، ولكني أصْدُقك

قال هاتِ ، فأخبرته القصّة من أولها الى آخرها ؛ فقال : هذا حق مستوٍ ، أفهذا شغل قلبك ؟

قلت إي والله

وزاد فقال: لا تَشْغَلْ قلبَك بهذا ، يا غلام، ردّوا حماره وهاتوا له خلعة

فجاءوني بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ، ووُضِع النبيذ فشربت وشرب فغنّيتُه ، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربعَ رِقاع ظننتُ بعضها توقيعاً لي بجائزة ؛ فإذا هو قد دعا بمص وكلائه فدفع إليه الرّقاع وسارّه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العَتَمة

ثم اتكأ يحيى فنام ، فقمت وأنا منكسر خائب فخرجت وقُدّم لي حماري ، فلمّا تجاوزت الدار قال لي غلامي الى أين تمضي ؟

قلت الى البيت

قال قد والله بِيعَتْ دارك ، وأشهِد على صاحبها ، وابتيع الدّرْبُ كلّه ووُزِن ثمنه ، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك ، وأظنه اشترى ذلك للسلطان ، لأني رأيت الأمر في استعجاله واستحثاثه أمراً سلطانياً

فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حِسابي ، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل فلمّا نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سارّه يحيى قد قام إليّ فقال لي: ادخُل، أيّدك الله ، دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه

فطابتْ نفسي بذلك ، ودخلتُ ودخل إليّ فأقرأني توقيع يحيى « يُطلق لأبي محمد إسحاقَ مائةُ ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها » والتوقيع الثاني الى ابنه الفَضْل « قد أمرتُ

لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها داره، فأطلِق اليه مثلَيها لِيُنْفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي » والتوقيع الثالث الى جعفر « قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم يُنفقها على بنائها ومَرَمّتها على ما يريد ، فأطلِقْ له أنت مائة ألف درهم يَبتاع بها فرشاً لمنزله » والتوقيع الرابع الى محمد « قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة ينْفقها عليه وفَرْش يَبْتَذِلهُ ، فمُرْ له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته »

وقال الوكيل: قد حملتُ المال واشتريتُ كل شيء جاورك بسبعين ألفَ درهم، وهذه كتب الابتياعات باسمي والاقرار لك ، وهذا المال بُورِكَ لك فيه فاقبِضه

فقَبَضتُه وأصبحت أحسنَ حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي ؛ ولا والله ما هذا بأكبرِ شيء فعلوه لي ، أفألام على شكر هؤلاء !

فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر ، وقالوا لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء

ثم قال الفضل بحياتي غنِّ الصوت ولا تبخَل على أبي الحسن بأن تُقوّمه له

فقال أفعل ؛ وغنّاه ، فتبيّن عَلُّويه أنه كما قال ، فقام فقبّل رأسَه وقال: أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل

أحد ؛ وردّه[1] إسحاقُ مرّاتٍ حتى استوى لعلُّويه

ولقد رُوِي في هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصّة كانت عند عليّ بن هشام ، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظة قال

دعا عليّ بن هشام إسحاقَ الموصليّ وسأله أن يصطبح عنده ويُبكّر فأجابه ؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخارِق وعَلُّويه ؛ فقال له عليُّ بن هشام أين كنتَ الساعةَ يا ابا محمد ؟

قال عاقني أمر لم أجد من القيام به بدًّا

فدعا له بطعام فأصاب منه ، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنّى عَلُّويه صوتاً ، الشعر فيه لابن ياسين ، وهو

إلهي مَنَحت الود مني بخيلةً ؛
وأنت على تغيير ذاك قديرُ

شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤه ؛
وإن امرأً أخفى الهوى لصبورُ

فقال له إسحاق أخطأتَ وَيْلكَ !

فوضع عَلُّويه العود وشرب رطلًا وشرب عليّ بن هشام؛ ثم تناول العود وغنّى

---

[1] رده أعاده .

ولقد أسمُو الى غُرفٍ،
في طريقٍ،موحِشٍ،جُدَدُهُ[1]

حولَهُ الأحراسُ تحرسه،
ولديه، جـــاثماً، أسدُهْ

فقال له إسحاق أخطأتَ وَيْلَكَ!

فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له دعاكَ الأمير، أعزّه الله، لتبكّر اليه، فجئتَه ظُهْراً، وغنّيتُ صوتين يشتهيهما الأمير، أعزّه الله، عليّ، فخطّأتني فيهما، وزعمتَ أنك لا تغنّي بين يدي الأمير، أعزّه الله، ولا تغنّي إلا بين يدي خليفة أو وليّ عهد، ولو دعاك بعض البَرامكة لكنت تُسرع اليه ثم تغنّي مُنْذُ غُدوةٍ الى الليل!

فقال إسحاق إني والله ما أردت انتقاصاً منك، ولا أقول مثله لغيرك ولا أُريد ازدراءً من أحد، ولكني أردتُ بك خاصّة التقويم والتأديب، فإن ساءك ذلك تركتُك في خطئك

ثم أقبل على عليّ بن هشام، فقال له أعزّك الله، إني أُحدّثك عن البَرامكة بما يُقيم عذري فيما ذكره

دخلت على يحيى بن خالد يوماً، ولم أكن أردت الدخول عليه، وإنما ركبتُ متبذّلاً[2] لهمٍّ أهمّني، وكنت نازلاً مع أبي في داره،

---

١ جدده : معالمه .

٢ التبذل : ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع

فضِقْتُ صدراً بذلك وأحببتُ النُّقلة عنه ، ونظرت فإذا يدي تَقْصُر عما يُصلحني

ثم ذكر الخبرَ نحواً مما قلته وزاد فيه أنه دخل الى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبِح ، ، فلما رآه نعَر[1] وصفّق ، وأنه وقّع له بمائتي ألف درهم ، ووقّعَ له كلّ من جعفر والفَضْل بمائة وخمسين ألفاً ، وكلٌّ واحد من موسى ومحمد بمائة ألفٍ مائة ألف

وقال فيه فبكى عليّ بن هشام ومن حضر ، وقالوا لا يُرى والله مثل هؤلاء أبداً

وأخذ إسحاقُ العودَ فغنّى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب ، فقام عَلُّوَيه فقبّل رأسه وقال له أنت أستاذنا وابن أستاذنا ، وما بنا عن تقويمك غِنىً

ثم غنّى بعد ذلك لحنَه « تشكّى الكُمَيتُ الجريَ » ، ولم يزل يغنّي بقيّةَ يومه كلّما شرب عليّ بن هشام ؛ ثم انصرف فأتبعه عليّ بن هشام بجائزة سنيّة

يشهد له بالصنعة

حدّثني[2] عبدالله بن العبّاس الرّبيعيّ قال

أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فلما جلست واطمأننت ،

---

١ نعر : صاح وصوت .

٢ الحديث لعون بن محمد

أخرج إليّ خادمه رقعةً ، فقال اقرأ ما فيها واعمل بما رسمه الأمير، أعزّه الله

فقرأتها فإذا فيها قوله

يرتاح للدَّجْن قلبي ، وهو مقتسَمٌ
بين الهموم ، ارتياحَ الأرضِ للمطرِ[1]

إني جعلتُ لهذا الدَّجْن نِحلتَه ،
ألاّ يزولَ ، ولي في اللهو من وطَرِ[2]

وتحت هذين البيتين « تقدَّمْ ، جُعِلت فداك ، إلى من بحضرتك من المغنّين بأن يغنّوا في هذين البيتين ، وألقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة ؛ فإذا أخذَتْه فأنفِذها إليّ مع رسولي . »

فقلت السمعُ والطاعة لأمر الامير ، أعزّه الله ، فهل صنع فيهما أحد قبلي ؟

فقال نعم ، إسحاق الموصليّ

فقلت: والله لو كُلِّفَ إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه ، ما قدر على ذلك ولا بلغ مبلغَه

فضحك حتى استلقى ، وقال صدقتَ والله ! وهكذا يقول من

---

١ الدجن : الباس الغيم الأرض

٢ النحلة المذهب والنوع ، يقول انه جعل لهذا الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو .

يعقل لا كما يقول هؤلاء الحَمْقى ، ولكن اصنعْ فيهما على كل حال كما أمر

فقلت أفعل وقد بَرِئتُ من العُهْدة

فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القرّادين

يبكي شبابه

قال لي المعتصم أو قال لي الواثق[1] لقد ضحِك الشّيْب في عارضَيْك

فقلت نعم يا سيّدي ، ثم قلت أبياتاً في الوقت وغنّيت فيها

تولّى شبابك ، إلا قليلا ،
وحلّ المشيب ، فصبراً جميلا

كفى حَزَناً بفراق الصّبا ،
وإن أصبح الشيب منه بَديلا

ولما رأى الغانياتُ المشيبَ ،
أغضَيْنَ دونك طَرْفاً كَليلا

---

١ الحديث لاسحاق .

سأنــدبُ عهداً مضى للصـبا ؛
وأبكي الشبــابَ بكاء طويـلا

فبكى الواثق وحزن وقـال والله لو قدرتُ عـلى ردّ شبابك لفعلت بشَطْرِ مُلـكي ؛ فـلم يكن لكلامـه عندي جواب إلا تقبيل البساط بين يديه

اخفاق المغنين

حدّثني[1] حَمْدون بن إسماعيل قال لما صنع أبوك لحنَه في

قِفْ بالديار التي عَفا القِدَمُ ،
وغيّرتها الأرواحُ والدِّيَمُ[2]

رأيتهم ، يعني المغنّين ، يأخذونه عنه ويَجْهَدون فيه ؛ فتُوفّي والله وما أخذوا منه إلا رَسْمَه

نسبة هذا الصوت

قِفْ بالديار التي عَفَا القدَمُ ،
وغيّرتهـــا الأرواحُ والدِّيَمُ

---

١ الحديث لحماد بن اسحاق
٢ الأرواح : جمع ريح

لمّـا وقفْنـا بهـا نسائِلـُهـا ،
فاضت من القوم أعينٌ سُجُمُ[١]

ذكراً لعيشٍ مضى ، إذا ذكروا
ما فـــات منه ، فإنــه سَقَمُ

وكل عيش ، دامت غـَضَارتُه ،
منقـطِـعٌ مرّةً ومنصَرِمُ

الشعر والغناء لاسحاق

حدّثني[٢] عُجَيف بن عَنْبَسة قال

كنت عند أمير المؤمنين المعتصم وعنده إسحاق الموصليّ ، فغنّاه

قُلْ لمن صدّ عاتبا ،
ونأى عنك جـانبـا

فأمره بإعادته ، فأعاده ثلاثاً ، وشرب عليه ثلاثاً ؛ فقال له إبراهيم ابن المهديّ قد استحسنتَ هذا الصوت يا أمير المؤمنين ، أفنأخذه ؟

قال نعم ، خذوه فقد أعجبني

فاجتمع جماعةُ المغنّين : مُخارقٌ وعَلـُّويه وعَمْرو بن بانة وغيرهم ، فأمره المعتصم أن يُلقيَه عليهم حتى يأخذوه

---

١ سجم واحدها سجوم ، من سجم الدمع سال
٢ الحديث لهارون بن اليتيم .

فقال عُجَيف: فعددتُ خمسين مرّة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنّون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه

قال هارون فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث ابن بُسْخُنّر ، فقال له عُجَيْف يا أبا جعفر، كنت أحدّث أبا موسى بحديثنا البارحةَ مع إسحاقَ في الصوت وأني عددت خمسين مرة

فقال محمد إي والله ، أصلحك الله ، ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّة وما في القوم أحد إلا وهو يظن أنه قد أخذه ، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أولهم ما قدرت، علم الله ، على أخذه على الصحة وأنا أسرعُهم أخذاً، فلا أدري: ألِكَثْرةِ زوائده فيه أم لشدّة صعوبته؛ ومن يقدر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً !

يجيز للمعتصم شعراً

قال أبو أيّوب: وحدّثني حمّاد عن أبيه قال

كنتُ يوماً عند المعتصم ، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال وَددت أنه على غير ما هو ؛ فقلت له أنا لك به على هذا الوزن في أحسنَ من هذا الشعر

قُلْ لمن صدّ عاتبا ،
ونأى عنك جانبا

قد بلغتَ الذي أردت ،
وإن كنت لاعبا

فأعجبه وقال لي قد والله أحسنت ! وأمر لي بألفيْ دينار، ووالله ما كانت قيمتها عندي دَانِقَيْن[1]

الشعر والغناء في هذين البيتين لاسحاق

غضب الامين عليه

أخبرني يحيى بن عليّ عن إسحاق قال

غضب عليّ المخلوع[2] فأقصاني وجفاني ، فاشتدّ ذلك عليّ

قال وجفاني وهو يومئذ بالأنبار، فحملتُ عليه بالفضل بن الربيع، فطلب اليه فشَفّعه[3] المخلوعُ ودعاني وهو مُصْطبِح، فلم أزل متوقفاً ، وقد لبِستُ قَبَاءً وخُفًّا أحمرَ واعتصبتُ بِعصابة صفراءَ وشَدَدْت وسطي بشُقّة حمراء من حرير؛ فلما أخذوا في الأهزاج دخلتُ وفي يديّ صفّاقتان وأنا أتغنّى

---

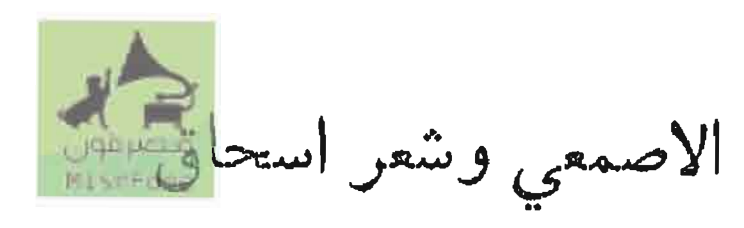
١ الدانق: سدس الدرهم .
٢ المخلوع محمد الأمين .
٣ شفعه : قبل شفاعته .

اسمع لصوتٍ طريب
من صَنْعةِ الأنباري[1]

صوتٍ مليح خفيف ،
يطـــير في الأوْتار

الشعر والغنـاء لاسحاقَ ، فسُرَّ بذلك محمد ، وكان صوتهم في يومهم ذلك ، وأمر لي بثلثمائة ألف درهم

وكان سبب تسمية محمد لي بـ « الأنباري » أني دخلتُ عليه يوماً وقد لُثْتُ عمامتي[2] على رأسي لَوثاً غير مستحسن ، فقال لي : يا إسحاق ، كأنَّ عمامتك من عمائم أهل الأنبار



الاصمعي وشعر اسحاق

قال اسحاق قلت في ليلة من الليالي

هل ، الى نظرةٍ اليك ، سبيلُ
يُرو منها الصَّدى ، ويُشْفى الغليلُ[3]

إنَّ ما قلَّ منك يكثُرُ عندي ،
وكثيرٌ ممن تحبّ القليـــلُ

---

١ الأنباري نسبة الى الأنبار ، مدينة على الفرات غربي بغداد .
٢ لاث العمامة على رأسه لفها وعصبها
٣ جزم يرو لضرورة الشعر

قال فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ ، فقال هذا الدّيباج الخُسْروانيّ[1] ، هذا الوشي الاسكندرانيّ ، لمن هذا ؟

فقلت له إنه ابن ليلته

فتبيّنت الحسدَ في وجهه ، وقال أفسدتَه ! أفسدتَه ! أمّا إن التوليد فيه لبيّن

معنى سبق اليه

وكان[2] إسحاق يُعْجَب بهذا المعنى[3] ويكرره في شعره ، ويرى أنه ما سُبِق اليه ؛ فمن ذلك قوله

أيها الظّبيُ الغرير ،
هل لنا منك مجيرُ ؟

إنّ ما نوّلتني منكَ ،
وإنْ قلّ ، كثيرُ

فقلت إنك قد سُبِقت الى هذا المعنى ، فقال ما علمتُ أن أحداً سبقني اليه ؛ فأنشدته لأعرابيّ من بني عُقَيْل

قِفِي وَدِّعينا ، يا مليحُ ، بنظرةٍ ،
فقد حان منّا ، يا مليح ، رحيلُ

---

١ الخسرواني نوع من الثياب منسوب الى خسرو أحد الاكاسرة .
٢ الحديث لعلي بن يحيى.
٣ اي معنى البيتين السابقين.

أليس قليلًا نظرةٌ ، إنْ نظرتُها
اليكِ ، وكلّاً ليس منكِ قليلُ

عُقيْليّةٌ أمّا مَلاثُ إزارها
فوعثٌ ، وأما خصْرها فضئيل[1]

أيا جنّةَ الدنيا ويا غايةَ المُنى ،
ويا سُؤلَ نفسي هل اليكِ سبيلُ ؟

أراجعةٌ نفسي اليَّ ، فأغتدي
مع الرّكب ، لم يُقتَل عليكِ قتيلُ

فما كلَّ يوم لي بأرضك حاجةٌ ،
ولا كلَّ يوم لي اليكِ رسولُ

قال فحلف أنه ما سمِع بذلك قطّ
قال عليّ بن يحيى وصدق ، ما سمع بها

حوار لطيف

عاتبني[2] إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء اليه ، فقال لي مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأياً حازماً ، فاجمع له مع المحبة الخالصة طاعةً لازمة

١ ملاث الازار مداره وهو ما دون الخصر والوعث : اللين .
٢ الحديث لاسحاق

فقلت له جعلني اللهُ فداك ، إذا ثبتتِ الأصولُ في القلوب ، نطقتِ الألسنُ بالفروعِ ، والله يعلمُ أنّ قلبي لك شاكر ، ولساني بالثناء عليك ناثر ، وما يَظهرُ الودُّ المستقيم ، إلا من القلب السليم

قال فأبرىءْ ساحتَكَ عندي بكثرة مجيئك إليّ

فقلت أجعل مجيئي اليك في الليل والنهار نُوَباً أتيقّظ لها كتيقظي للصلوات الخمس ، وأكون بعد ذلك مقصّراً

فضحك وقال من يقدر على جواب المغنّين !

فقلت مَنِ اتخذ الغناء لنفسه ولم يتخذه لغيره

فضحك أيضاً وأمر لي بخِلَع ودنانيرَ وبِرْذَوْن وخادم

وبلغ الخبر المعتصمَ ، فضاعف لابراهيم ما أعطاني ، فرحتُ وقد ربحتُ وأربحت

اسحاق وابن الربيع

عَتَبَ[١] عليَّ الفضلُ بن الرَّبيع في شيء بلغه عني ، فكتبت اليه « إنّ لكل ذنب عفواً وعقوبة، فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة ، فأمّا مثلي من العامة فذنبه لا يُغفر وكسره لا يُجبر ، فإن كنت لا بدّ معاقبي فإعراضٌ لا يؤدّي إلى مقت »

---

١ الحديث لاسحاق

وكان يختلف اليَّ رجلٌ من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع يقربه ويستظرف كلامه ، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى اليه ، فقال له الفضل فيمَ كنتم ؟

قال : كنا في قِدْرٍ تَفُور، وكأس تَدُور، وغناء يَصُور[1]، وحديث لا يحور[2]

ينحل شعره الاعراب

كان[3] اسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب ، وينشده للأعراب، وكان يُعايي[4] بذلك أصحابه ويُقرب عليهم به ، فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابيّ

لفَظَ الحدور عليكَ حُوراً عِيناً ،
أنسَيْن ما جمع الكِناسُ قَطِيناً[5]

فإذا بسَمْنَ ، فعَنْ كمثل غَمامةٍ ،
أو أقْحُوان الرمل بات معِينا[6]

---

١ يصور يصوت .
٢ لا يحور لا يعاد
٣ الحديث للحسين بن طالب .
يعايي : يأتي بكلام لا يهتدي له أصحابه .
٥ لفظ أخرج . القطين : القاطن في المكان اي المقيم فيه .
٦ معين ريان

وأصبحَ من رأت العيونُ ، محاجراً
ولهنَّ أمرضُ ، ما رأيت ، عيونا[1]

وكأنما تلك الوجوهُ أهلّةٌ
أقمرْنَ بين العشْر والعشرينا

وكأنهنَّ ، اذا نَهضْنَ لحاجةٍ ،
ينهضن بالعَقِداتِ من يبْرينَا[2]

قال وأنشدني أيضاً مما كان ينسبه الى الأعراب وهو له

ومكحولة العينين من غير ما كُحْلِ ،
مهفْهفةِ الكشْحين ذات شوىً خَدْلِ[3]

منعّمةِ الأطرافِ مُفْعَمةِ البُرى ،
روادفُها تَحكي الدَّهاسَ من الرملِ[4]

صَيُودٍ لألباب الرجال ، متى رنتْ
إلى ذي نُهَى ، جلْد القُوى وافرِ العقلِ[5]

---

١ المحاجر ، واحدها محجر ما دار بالعين وأراد هنا العيون
٢ العقدات ما تراكم من الرمل وتعقد يبرين : من اصقاع البحرين ، يشبه أعجازهن بكثبان الرمل لضخامتها
٣ الكشحين : الخاصرتين مهفهفة دقيقة . الشوى الاطراف الخدل: الممتلىء الضخم. يريد انها ممتلئة الذراعين والساقين
٤ البرى ، واحدتها برة: الحلقة سواراً كانت او خلخالا او قرطاً. الدهاس المكان اللين. يصف ذراعيها وساعديها بالامتلاء وردفيها بالضخامة واللين .
٥ رنت أدامت النظر النهى العقل

تخلّى النُّهى عنه ، وحالفه الصبا ،
وأسلمه الرأي الأصيل إلى الجهل ِ

شَبيبةُ كُثْبانٍ ، يَروقك تحتها
عناقيد كرم ، جادَها غَدَق الوَبْل[1]

رمَتْني فحلّت نائطَيَّ ، ولم تُصِب
لها نائطَيْ قلبٍ ، ولا مقتلًا ، نَبْلي[2]

الرشيد يعجب بشعره

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش عن الأصمعيّ قال

دخلت أنا وإسحاق الموصليّ يومًا على الرشيد فرأيناه لقِس[3] النّفس، فأنشده إسحاق يقول

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصُري ،
فذلك شيءٌ ما اليه سبيلُ

أرى الناس خُلاّن الكرام ِ ولا أرى
بَخيلًا له ، حتى المماتِ ، خليلُ

---

١ الشبيبة : الشابة ، ولعله اضافها الى الكثبان لضخامة ردفيها . غدق الوبل : المطر الغزير شبه شعرها بالعناقيد الريا ، وفي البيت غموض

٢ النائط العرق المستبطن الصلب تحت المتن .

٣ اللقس : من لقست نفسه : غثت وخبثت .

وإني رأيت البُخل يُزْري بأهله ،
فأكرمتُ نفسي أنْ يُقال بخيلُ

ومن خيرِ حالاتِ الفتى ، لو علمتِه ،
إذا نال خيراً ، أن يكون يُنيل[1]

فعالي فعالُ المُكْثِرين تجمُّلا ،
ومالي ، كما قد تعلمين ، قليلُ

وكيف أخافُ الفقر ، أو أُحرمُ الغِنى ،
ورأيُ أمير المؤمنين جميلُ !

قال فقال الرشيد لا تخف إن شاء الله ؛ ثم قال لله دَرّ أبيات تأتينا بها ؛ ما أشدّ أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقلّ فضُولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم

فقال له إسحاق : وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعري ، أحسن منه ، فعلام آخُذ الجائزة !

فضحك الرشيد وقال اجعلوها لهذا القول مائة الف درهم

قال الأصمعيّ : فعلمتُ يومئذٍ ان إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني.

---

١ ينيل يعطي

شعره في حفيد ابن الربيع

كنتُ[1] عند الفضل بن الرّبيع يوماً ، فدخل إليه ابن ابنه عبدُ الله ابن العبّاس بن الفضل وهو طفل ، وكان يرقّ عليه لأن أباه مات في حياته، فأجلسه في حِجره وضمّه إليه ودَمعتْ عيناه، فأنشأتُ أقول

مَدّ لكَ الله الحياةَ مَدّا ،
حتى يكونَ ابنُك هذا جَدّا

مؤزّرا بمجده مُردّى ،
ثم يُفَدّى مثل ما تُفَدّى[2]

أشبه منك سُنّةً وخَدّا
وشِيَماً مرضيّةً ، ومجدا[3]

كأنه أنت ، إذا تَبدّى ،
شمائلاً محمودةً وقَدّا

قال فتبسّم الفضلُ وقال أمتَعني الله بك يا أبا محمد ، فقد عُوّضتُ من الحزن سروراً وتسلّيتُ بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله

---

١ الحديث لاسحاق .
٢ مؤزر ومردي اي ملتف بازار المجد وردائه.
٣ السنة الوجه لصقالته وملاسته ، او هي الجبهة والجبينان .

عيادته لابن الربيع

حدّثني عمّي عن إسحاق قال

أتيت الفضل بن الرّبيع يوماً عائـداً وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛ فقلت في مجلسي ذلك

إذا ما أبو العباس عِيدَ ولم يَعُد ،
رأيتُ مَعُوداً أكرم الناسِ عائدا

وجاء بنو العبـاس يبتدرونه ،
مِراضاً لمَا يشكوه مَثْنى وواحدا[1]

يُفَدّونه ، عند السلام ، وكلُّهم
مُجِلّ له عَمّاً ووالدا

قال وكان الفضل مضطجعاً ، فأمر خادماً له فأجلسه، ثم قال لي : أعِد يا أبا محمد ؛ فأعدتُ ، فأمرني فكتبتُها ، وسُرّ بها وجعل يردّدها حتى حفِظها

يسترضي بشعر

أخبرني يحيى بن عليّ عن إسحاق قال :

---

[1] يبتدرونه : يسرعون اليه

جاءني الزُّبير بن دَحْمان يوماً مسلِّماً فاحتبسته ؛ فقال لي أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه ؛ فقلت له

أقِمْ يا أبا العوَّام ، ويْحَكَ ، نَشْربِ ،
ونَلْهُ ، مع اللاهين ، يوماً ، ونَطْربِ

إذا ما رأيتَ اليوم قد جاء خيرُه ،
فخُذْه بشكرٍ واتركِ الفضلَ يغضَبِ

فأقام عندي وسُررنا يومنا ، ثم صار إلى الفضل ؛ فسأله عن سببِ تأخّره عنه ؛ فحدّثه الحديث وأنشده البيتين ، فغَضِب وحوّل وجهه عنّي ، وأمر عوناً حاجبَه بألا يُدخلني إليه ولا يستأذن لي عليه ولا يُوصِل لي رقعةً ؛ فقلت

حرامٌ عليّ الكأسُ ما دمتَ غضبانا ،
وما لم يعُدْ عنّي رضاك كما كانا

فأحسِنْ ، فإنّي قد أسأتُ ، ولم تزَلْ
تعوّدني ، عند الاساءة ، إحسانا

قال وأنشدته إياهما ، فضحك ورضي عنّي وعاد إلى ما كان عليه.
وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزْيد عن حمّاد عن أبيه ، فذكر مثلَه وزاد فيه فقلت في عَون حاجبه

عَوْنُ يا عونُ ليس مثلك عونُ ،
أنت لي عُدّةٌ اذا كان كونُ

لك عندي والله ، إن رَضِي الفضل ،
غـلامٌ يُوضيك ، أو بِرْذَوْنُ

قال فأتى عَوْنٌ الفضلَ بالشّعرين جميعاً؛ فقرأهما وضحك وقال: ويْحَكَ ! إنما عرّض لك

قال : قد وعدَني ما سمعتَ ، فإن شئتَ أن تحْرِمنيه فأنت أعلم

فأمره أن يُرسل إليّ ؛ فأتاني رسولهُ فصِرتُ اليه فرضِي عني

حدّثني[1] الزُّبير بن دَحْمان قال

دخلتُ يوماً على الفضل بن الرَّبيع مسلّماً؛ فقال لي قد عزمتُ غداً على الصّبوح ، فصِرْ اليّ بُكرةً ؛ فكنتُ أنا والصبحُ كفَرسَيْ رهان ؛ فلما أصبحتُ في غد جعلت طريقي على إسحاقَ بن إبراهيم فدخلت إليه ، فلما جلستُ قال لي أقِم اليوم عندي

فعرّفته خبري

فقال

أقِم يا أبا العَوّام، وَيْحَكَ، نشربِ ،
ونَلْهُ ، مع اللاهين يوماً ، ونطربِ

إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرهُ ،
فخُذه بشكر ، واترُكِ الفضل يغضبِ

---

[1] الحديث لابي محمد أحمد المكي

فقلت إني لا آمن غضبه ، وأنا بين يديك

فقال لي أنت تعلم أن صَبوح الفضل أبدا في وقت غَبوق الناس ، فأقِمْ وارفُقْ بنفسك ثم امضِ إليه

فأجبته الى ذلك ؛ فلمّا شربنا طاب لي الموضع ، فأقمت حتى سكِرتُ وذكر باقي الخبر نحواً مما ذكر إسحاق انتهى

يسقط المغنين

حدّثني[1] محمد بن المكّي المُرتجِل قال قلت لزُرْزُورٍ الكبير كيف كان إسحاق يَنْفُق على الخلفاء[2] معكم وأنتَ وإبراهيم بن المهديّ ومُخارقٌ أطيبُ أصواتاً وأحسنُ نَغَمةً ؟

قال كنّا والله يا بُني نحضر معه فنجتهد في الغِناء ونُقيم الوَهَجَ[3] فيه ويُقبل علينا الخلفاءُ ، حتى نطمعَ فيه ونظن أنّا قد غلبناه ، فإذا غنّى عمِل في غنائه أشياء من مُداراته[4] وحِذْقه ولُطفه حتى يُسقطنا كلَّنا ويُقبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويجيزه دوننا ويُصغي اليه ، ونرى أنفسَنا اضطراراً دونه

---

١ الحديث لجحظة .

٢ ينفق على الخلفاء : يروج عندهم .

٣ نقيم الوهج نحتد في الغناء .

مداراته احتياله في تأدية الانغام

تخنيثه في الغناء

حدّثنا جَحْظة قال حدثني محمد بن أحمد المكّيّ قال حدّثني أبي قال كان المغنّون يجمعون مع إسحاق وكلّهم أحسن صوتاً منه ، ولم يكن فيه عيبٌ الا صوتَه فيطمعون فيه ، فلا يزال بلُطفه وحِذقه ومعرفته حتى يغلبَهم ويبُذّهم جميعاً ويفضُلَهم ويتقدّمهم

وهو أولُ من أحدث التخنيث[1] ليوافق صوتَه ويشاكلَه ، فجاء معه عجباً من العَجَب ؛ وكان في حَلْقه نبوٌّ عن الوتر

أخبرني يحيى بن عليّ : أن إسحاق أول من جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يُعرف ، وإنما احتال بحذقه لمُنافرة حَلْقه الوتر ، حتى صار يجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسن له في السمع

المغنون في غيابه

كان المغنّون إذا حضروا وليس اسحاقُ معهم غنّوا هُوَيْنى وهم غير مفكرين ؛ فإذا حضر اسحاق لم يكن الا الجدّ

غضب المامون عليه

غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم ، ثم كُلّم فيه فرضي عنه ودعا به ؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرضَ بين يديه واستقاله[2] ؛

---

١ التخنيث ، من خنث الشيء : عطفه ، ولواه

٢ استقاله : طلب منه ان يقيله

فأجابه المأمونُ جواباً جميلاً ، ثم قال له في أثناء كلامه

فلا أنتَ أعتبتَ من زلّةٍ ،
ولا أنتَ بالغتَ في المَعْذِرهْ

ولا أنتَ ولّيتَني أمرها ،
فأغفِرَ ذنبك عن مَقدِرهْ

هكذا في الخبر ؛ وأظنّه إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ لا الموصليّ.

أبو الأشعث يعجب به

حدّثني[1] إسحاقُ قال

أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيَّ شعراً لي ، فقال والذي أصوم له مخافتَه ورجاءَه ، انك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه ، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يديّ ، وإنّ في كِبرك لما زان الجليسَ وسرّه .

اسحاق وزهراء الكلابية

قالت لي[2] زَهْراء الكلابيّة ما فعل عبدُالله بن خُرْداذْبه ؟

فقلت مات

---

١ الحديث للحسين بن ابي طالب .

٢ الحديث لاسحاق .

فقالت غيرَ ذميم ولا لئيم ، غفر اللهُ لصَداه[1]، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك

قال فقلتُ لزهْراء حدّثيني عن قول الشاعر

أحِبّكِ أنْ أخْـبِرتُ أنّكِ فاركٌ
لزوجكِ ، إني مُولَـعٌ بالفَوارِكِ[2]

ما أعجَبَه من بغضها لزوجها ؟

فقالت عرّفتْه أنّ في نفسها فضْلةً من جمـال وشَمْخاً بأنفهـا وأبّهةً ، فأعجَبَتْه

يطرب المعتصم

أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفش

أنّ إسحاق الموصليّ دخل عـلى المعتصم يوماً من الأيام فرآه لقِس النّفْس، فقال له : أما ترى يا أمير المؤمنين طِيب هذا اليوم وحُسْنَه !

فقال المعتصمُ ما يدعوني حُسْنُه الى شيء مما تريد ولا أنشط له

فقال يا أمير المؤمنين ، إنه يومُ أكلٍ وشُربٍ ؛ فاشرب حتى أنشّطك

---

[1] الصدى جسد الانسان بعد موته

[2] الفارك من النساء : التي تبغض زوجها

قال أو تفعل ؟

قال نعم

قال يا غلمان ، قدموا الطعامَ والشرابَ ومدّوا الستارةَ ، وأحضِروا الندماءَ والمغنّين

فأتي بالطعام فأكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماء والمغنّون ؛ فغنّاه إسحاق

سقيتَ الغيثَ يا قصرَ السلامِ ، فنِعمَ محلّةُ الملكِ الهُمامِ

لقد نَشَرَ الاله عليك نوراً ، وخصّك بالسّلامــــة والسلام

الشعرُ والغناءُ لابراهيم الموصلي

فطرِب المعتصم وشرب شرباً كثيراً ، ولم يبق أحدٌ بحضرته إلا وصله وخلَع عليه وحمله ؛ وفضّل إسحاقَ في ذلك أجمع

اول جائزة من الرشيد

أخبرني الحسن بن عليّ عن إسحاق قال

أوّل جائزة أخذتُها من الرشيد الفُ دينار في أول يوم دخلتُ إليه فغنّيته

عَلِق القلبُ بِزَوْعا[1]

---

[1] زوع من اسماء النساء

فاستحسنه واستعاده ثلاث مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأمر لي بألف دينار ؛ فكان أول جائزة أجازنيها

ساق قبيح الوجه

كانَ[1] أبي ذاتَ يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فلما جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسقُون مَنْ حضَر ، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه الى أبي بقَدحِ نبيذٍ فلم يأخذه ، ورآه إسحاق فقال له لِمَ لا تشرب؟ فكتب اليه أبي

إصْبَحْ نديمك أقداحاً يُسَلْسِلُها
من الشَّمُول[2] مواتيهِا بأقداحِ

من كف ريمٍ مَليح الدَّلّ ، ريقتُه ،
بعد الهُجُوع ، كمِسْكٍ أو كتُفّاحِ

لا أشربُ الرَّاح إلا من يديْ رَشَإٍ ،
تقبيـــل راحتِـه أشهى من الرَّاح

فضحك وقال صدَقتَ والله ؛ ثم دعا بوصيفةٍ كأنها صورةٌ ، تامّة

---

١ الحديث لحماد بن اسحاق .
٢ الشمول الخمر

الحسن لطيفةُ الخصر في زيّ غلام، عليها أقبيةٌ[1] ومِنْطَقةٌ ، فقال لها

تَولـَّي سَقْيَ أبي محمد

فما زالت تسقيه حتى سكر ، ثم أمر بتوجيهها وكلّ ما لها في داره اليه ، فحُمِلتْ معه

زهراء الكلابية تناشده

كانت[2] امرأةٌ من بني كِلاب يقال لها زهراء تحدّث إسحاقَ وتناشدُه ، وكانت تميـل اليه ، وتَكْنِي عنه في عشيرتها ، إذا ذكَرَتْه ، بجُمْل

قال فحدّثني اسحاقُ أنها كتبتْ اليه ، وقد غابت عنه ، تقول

وَجْدي بجُمْل ، على أني أجَمْجِمُه ،
وجدُ السَّقيم ببُرءٍ بعد إدنافِ[3]

أو وجدُ ثَكْلى أصاب الموتُ واحدها ،
أو وجدُ مغتربٍ من بين ألاّف

قال فأجبتُها

---

١ الاقبية : شبه « الغنابيز » .
٢ الحديث لعلي بن الصباح .
٣ أجمجمه : أكتمه وأخفيه .

أقرِ السلامَ على الزهراء، إذ شحَطتْ،
وقلْ لها قد أذقتِ القلبَ ما خافا

أما رثَيْتِ لمن خلّفتِ مكتئباً،
يُذْرِي مدامعَه سَحًّا وتَوكافا[1]

فما وجَدْتُ، على إلفٍ أُفارقُه،
وجْدي عليك، وقد فارقْتُ أُلّافا

يكتم قصة اشار اليها

أنشدني[2] إسحاقُ لنفسه

سقى اللهُ يومَ الماوشانِ ومجلساً،
به كان أحلى عندنا من جَنَى النحلِ[3]

غَداةَ اجتنينا اللهوَ غضًّا، ولم نُبَلْ
حِجابَ أبي نصر، ولا غَضْبةَ الفضلِ[4]

غَدَوْنا صِحاحاً، ثم رحنا كأنّنا
أطاف بنا شرٌّ شديدٌ من الخَبْلِ

---

١ التوكاف: مصدر وكف الدمع: قطر قليلًا قليلًا.
٢ الحديث لمحمد بن مالك.
٣ الماوشان: موضع نزه في سفح جبل أروند من همذان.
٤ لم نبل: لم نبال.

فسألتُه أن يكتبها ففعل؛ فقلت له ما حديث المآو شان ؟ فضحك
وقال: لو لم أكتبْكَ الأبياتَ لما سألتَ عما لا يَعْنيك ؛ ولم يخبرني

ابن الاعرابي يعجب به

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن الأعرابيّ
أنه كان يصِف إسحاق الموصليّ ويُقَرّظه ويُثْني عليه ويذكر أدبه وحِفظَه وعلمَه وصدقَه ، ويستحسن قولَه

هل الى أن تنامَ عيني سبيلُ ؟
إنّ عهـدِي بالنوم عهدٌ طويلُ !

غاب عني من لا أسمّي ، فعيْني ،
كلّ يوم ، وجداً عليه تَسيـلُ

قال وكان إسحاقُ إذا غنّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكي أحرّ بكاء

الاول والآخر

أخبرني الصُّولِيّ عن حمّاد بن إسحاق قال
أوّلُ صوت صنعه أبي

إني لأَكْنِي بأجبالٍ عَنَ اجبُلِها ،
وباسم أوْدِيـــةٍ عن اسم واديها

وآخر صوت صنعه مختاراً

قِف نُحَيِّ المَغانيا ،
والطُّلُولَ البواليا

ثم قطع الصنعةَ حتى أمره الواثقُ بأن يعارضَ صنعته في

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ اني سألتُها

يتهم بالانتحال

قال حَمّاد وحدّثني أبي قال

كان المغنّون يحسدُونني مُنذ كنتُ غلاماً ، فلمّا مات أبي صنعتُ هذا الصوتَ ، فهو أوّل صوت صنعته بعد وفاته ، وهو

أمِنْ آل ليلَى عَرَفتَ الطُّلولا
بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولاَ

فقالوا للرشيد هذا من صنعة أبيه فقد انتحله .

فقال لي الرشيدُ في ذلك ؛ فقلتُ : هذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم

فقال اصنعْ في شعر الأخطل

أعاذِلَتيَّ اليومَ ، وَيْحَكما ، مَهْلاَ ،
وكُفّا الأذى عنّي ، ولا تُكثِرا العَذْلا

فصنعتُ فيه كما أمرني ؛ فلمّا سمعُوا بذلك وما جاء بعده أذعنوا ، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بي

وقد ذكر غيرُ حمّاد أنّ اللحن الذي اختبره به الرشيدُ قولُه

كنت صبّاً ، وقلبي اليومَ سالٍ ،
عن حبيبٍ يُسيء في كل حالِ

وذكر أنّ الفضل بن الرّبيع قال الشعرَ في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل

وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصّولي عن حمّاد بن إسحاق قال أوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبي

ألم تسألْ فتُخبرَكَ المَغاني ،
وكيف ؟ ومن حِجَجٍ ثماني![1]

بَرِئتُ من المنازل ، غيرَ شوقٍ
الى الدار التي بِلوى أبانِ

ديارٌ للّتي لَجْلَجتُ فيها ،
ولو أعربتُ لَجّ بها لساني[2]

فكادَ يَظَلّ للعينين غَرْبٌ
بربْعَيْ دِمنةٍ لا ينطِقانِ

---

١ يريد : وكيف يخبرنك وهن منذ ثماني سنين خاليات ؟ وفي الكلام ايجاز حذف واكتفاء
٢ لجلجت : ترددت في الكلام .

قال فحدثني أبي أن المغنّين قالوا للرشيد هـذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته ؛ فقلت له أنا أدَعُ لهم هذا ومائةَ صوتٍ بعـده ؛ ثم نظروا الى ما جاء بعد ذلك فأذعنوا

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

قِفْ نُحَيِّ المَغانيـا ،
والطُّلولَ البَواليــا

وعلى أهلهـا فنُحْ ،
وابكِ إن كنتَ باكيـا

الشعر لابن ياسين

أمِنْ آلِ ليلى عرفْتَ الطُّلولا
بذي حُرُضٍ ، ماثـلاتٍ مُثولا

بَلِيـنَ ، وتحسَبُ آياتِهـنَّ ،
عن فَرْطِ حولين ، رَقّاً مُحيـلا

الشعر لكعب بن زُهير

أعاذِلـتيَّ اليومَ ، ويْحَكما ، مَهْـلاَ ،
وكُفّا الأذى عني ، ولا تُكْثرا العَذْلا

١ تقدم شرح هذه الابيات في الصفحة ٣٧

دعاني تَجَلُّدُ كَفّي بمالي، فإنني
سأصبح لا أستطيع جُوداً ولا بُخْلا

إذا وضعوا فوق الصَّفيح جنادلاً
عليّ، وخلَّفتُ المطيّة والرَّحلا[1]

فلا أنا مجتازٌ، إذا ما نزلتُه،
ولا أنا لاقٍ، بما ثَوَيتُ به، أهلا

الشعر للأخطل

إني لأُكْنِي بأجبالٍ عَنَ اجْبُلِها،
وباسم أوديةٍ عن اسم واديها

عَمْداً ليَحْسَبَها الواشون غانيةً
أخرى، وتحسبَ أني لا أباليها

ولا يُغَيِّرُ وُدّي أن أهاجرَها،
ولا فراقُ نَوًى في الدارِ أنْويها

وللقَلُوصِ ولي منها، إذا بَعُدَتْ،
بوارحُ الشّوق تُنْضيني وأُنضيها[2]

الشعر لأعرابيّ

---

١ الصفيح حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر الجنادل : الحجارة
٢ تضيني وأنضيها تبليني وأبليها .

حديثه بشأن الأهزاج

قال إسحاق للواثق يوماً الأهزاج من أمْلح الغناء، فقال الواثق: أمّا إذا كانت مثلَ صوتك

إني لأَكني بأجْبالٍ عَنَ اجبُلِها ،
وباسم أوديةٍ عن اسم واديها

فهي كذالك

غناؤه ابن طاهر

قال إسحاق بعث إليّ طَلْحَةُ بن طاهر وقد انصرف من وقعة الشُّراة[1] وقد أصابته ضربة في وجهه؛ فقال لي الغلام أجِب

فقلت وما يعمل ?

قال يشرب

فمضيت اليه فاذا هو جالسٌ قد عصب ضربتَه وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوة، فقلت له : سبحان الله أيها الأمير ! ما حمّلك على لُبس هذا ؟

قال التبرُّم بغيره ؛ ثم قال غنّ

إني لأَكْني بأجْبالٍ عَنَ اجبُلها

---

[1] الشراة : الخوارج

قال فغنّيتُه إياه ، فقال أحسنتَ والله ! أَعِدْ !

فأعدتُ وهو يشرب حتى صلّى العَتَمة وأنا أُغنّيه ؛ فأقبل على خادم له بالحَضرة وقال له كم عندك ؟

قال مقدارُ سبعين ألفَ درهم

قال تُحمَل معه

فلمّا خرجتُ من عنده تبعني جماعةٌ من الغِلْمان يسألونني ، فوزّعتُ المال بينهم ، فرُفِع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجّه إليَّ ثلاثاً ؛ فجلست ليلًا وتناولت الدَّواةَ والقِرْطاسَ فقلت

علّمني جُودُكَ السَّماحَ ، فما
أبقيتُ شيئاً لديَّ من صِلَتِكْ

لم أبقِ شيئاً ، إلاّ سمحتُ به ،
كأنّ لي قُدرةً كمقدِرتِك

تُتلِفُ في اليوم ، بالهباتِ ، وفي السّاعة
ما تجتنيه في سَنَتِك

فلستُ أدري من أين تُنفقُ ، لولا
أنّ ربّي يَجزي على صِلَتِك

فلمّا كان في اليوم الرابع بعث إليّ ، فصرتُ إليه ودخلت عليه

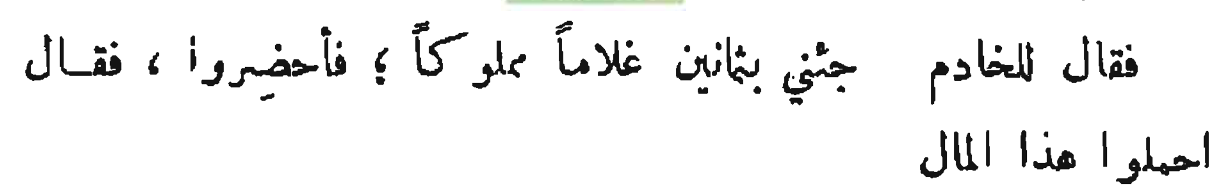
فسلّمت ؛ فرفع بصره إليّ وقال اسقُوه رطلاً؛ فسُقِيتُه ، وأمر لي بآخَرَ وآخرَ فشربتُ ثلاثاً ، ثم قال لي غنّ

إني لأكني بأجبـالٍ عَنَ اجبُلِها

فغنّيته ثم أتبعتُه بالأبيات التي قلتها ، وقد كنتُ غنّيتُ فيها لحناً في طريقة الصوت

فقال ادْنُ؛ فدنوت ، وقال اجلس؛ فجلست، فاستعاد الصوتَ الذي صنعتُه فأعدتُه فلمّا فهِمه وعرّف معنى الشعر قال لخادم له أحضِرني فلاناً؛ فأحضره ، فقال كم قِبَلك من مال الضّياع ؟

قال ثمانُمائة ألفِ درهم



فقال احضُرْ بها الساعةَ

فجيء بثمانين بَدْرة

فقال للخادم جئني بثمانين غلاماً مملوكاً ؛ فأحضِروا ، فقـال احملوا هذا المال

ثم قال يا أبا محمد ، خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تُعطي لأحد منهم شيئاً

مهاجاته محمد بن راشد

أخبرَني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الحسين بن محمد بن طالب قال

كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثير الغِشْيان لإسحاق بن إبراهيم ابن مُصْعَب والحضورِ لسَمَره ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسني جوائزَه ويُواتِر[1] صِلاتِه ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه ؛ فأصيب إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين ، فترك زيارةَ إسحاقَ وغيره ممن كان يغشاهم ولزم بيته

وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قُطْرَبُّل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ بن عَمِيرة ومحمد بن راشد الخنّاق والحَرّاني ؛ فجرى ذكرُ إسحاقَ الموصليّ ، فتوجع له إسحاق وذكر أُنسَه به وتمنى حضوره ، وذكره القومُ فأطنبوا في نشر محاسنه وشيّعوا ما ذكره به إسحاقُ بما حسُن موقعُه لهم عنده ؛ وذكره محمد بن راشد ذكراً لم يحمده أصحابه عليه ، وجبهه إسحاق ، فأمسك عنه

فلما انصرفوا من مجلسهم نُمي الى إسحاق الموصليّ ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب الى موسى بن صالح

ألا قُلْ لموسى الخيرِ موسى بنِ صالحٍ ،
ومن هو دون الخَلْق إلفي وخُلْصاني[2]

ومَنْ لو سألت الناسَ عنه لأجمعوا
على أنه أفتى مَعَدٍّ وقَحْطانِ[3]

---

١ يواتر : يتابع .
٢ الخلصان : الخالص من الأصدقاء .
٣ أفتى : أفعل تفضيل من الفتوة وهي الكرم والمروءة .

لَعَمْري ، لئن كان الأميرُ تمنّاني
بمجلسِ لذّاتٍ ونُزْهَـةِ بُستان

لقد زادني ما كان منه صَبابةً ،
وجدّدَ لي شوقاً إليه وأبكاني

وما زال ممتنّاً عليّ يخصّني
بما لستُ أُحصي من أيادٍ وإحسانِ

هو السيّد القَرْم الذي ما يُرى له
من النّاسِ ، إن حصّلته ، أبداً ثاني

نَمَتْه رَوابي مُصْعَب ، وبَنى له
كريمُ المساعي في أرُومته ، باني

يَعِزُّ عليّ أن تفوزوا بقُربه ،
ولستُ إليه بالقريب ولا الدّاني

فيا ليتَ شعري هل أروحنّ مرّةً
إليه ، فيلقاني كما كان يلقاني

وهل أرَيَنّ يوماً غَضارةَ مُلْكه ،
وسلطانه ، لا زال في عزّ سلطان

وهل أسمَعَنْ ذاك المُزاح ، الذي به ،
إذا جئتُه ، سلّيتُ همّي وأحزاني

إذا قال لي « يا مَرْدَمَيْ نخر » وكرّها
عليَّ ، وكنّاني ، مُزاحاً ، بصَفْوانِ

هذا كلام بالفارسية تفسيره يا رجل اشرب النبيذ

فيا لكَ من مَلْهًى أنيقٍ ، ومجلسٍ
كريمٍ ، ومن مَزْحٍ كثيرٍ بألوانِ

وهل يَغْمِزَنْ بي ذو الهَنات ابنُ راشد ،
وذاك الكريمُ الجَدِّ من آلِ حَرّان

وهل أرَيَنْ موسى الكريم ، ابنَ صالح ،
يُنازعني صوتاً ، إذا هو غنّاني

يريد الغناء في

فلم أرَ كالتّجمير ، مَنظَرَ ناظرٍ ،
ولا كليالي النّفرِ أفْتَنَّ ذا هوى[1]

إذا صاح بالتجمير ، ثم أعاده ،
بتحقيق إعراب صحيح وتبيان

أولئك إخواني الذين أُحبّهم ،
وأوثرهم بالودّ من بين إخواني

---

١ التجمير : رمي الجمار . النفر: نفور الحجاج الى مكة . وكلا الامرين من مناسك الحج

وما منهمُ إلا كريمٌ مهذَّبٌ ،
حبيبٌ الى إخوانه ، غيرُ خوّانِ

فأجابه محمد بن راشد

بعثتَ بشعر فيه أنّ رسالةً
أتتك لموسى عن جماعة إخوانِ

بشوقٍ وذكرٍ للجميل ، ولم يكن
لموسى ، لَعَمْري ، في سلامته ثاني

ولكن نَطَقْنا بالذي أنتَ أهلُه ،
وما تستحقُّ من صديقٍ ونَدْمانِ

وموسى كريمٌ لم يحطْ بك خُبْره ،
كخُبْرِ نَدَامى قد بلَوْكَ وإخوانِ

ولو قد بلاكَ قال فيك كقول مَنْ
فسَدْتَ عليه من خليل وخُلْصانِ

ولم يَعْرُه شوقٌ إليك ولم يجدْ
لِفَقْدِك مسّاً عند نُزهة بستان

حمدتَ النّدامى كلّهم غيرَ إنسانِ ،
ألاَ إنما يَجْني على نفسه الجاني

فلا تَعتُبِ الإِخوانَ ، من بعدها ، فما
تَنَقُّصُ إخوانِ المودّة من شاني

قال فأجابه إسحاق

عجبتُ لمخذولٍ تعرّض ، جانياً ،
للَيثٍ أبي شِبلينِ من أسْدِ خَفّانِ[1]

أتانا بشعر ، قاله ، مثلِ وجهه ،
تَزَخرَفَ فيه واستعان بأعوان

فجاء بألفاظٍ ضعافٍ ، سخيفةٍ ،
ومَضْغها تمضغَ أهوجَ سكرانِ

دَعُوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه ،
وإلاّ وُسِمتم ، ثم رميتم بشُهبان[2]

فإنكمُ والشعرَ ، إذ تدّعونه ،
كمُعتسِفٍ في ظلمة الليل حيران

صَهٍ ! لا تعودوا للجواب فإنما
ترومون صَعباً من شماريخ ثَهْلان[3]

---

١ خفان : مأسدة قرب الكو

٢ وسمتم من وسمه اذا ترك فيه اثراً بالكي. والمراد تركت عليكم آثار الخذلان. شهبان، واحدها شهاب : الكوكب المنقض والمراد او ترجمون بالشهب كما ترجم الشياطين ، الذين كانوا يحاولون استراق السمع من الملائكة

٣ الشماريخ رؤوس الجبال وأعاليها ثهلان جبل باليمن

أنا الأسَد الوَرْد ، الذي لا يَفُلُّه
تظاهُرُ أعداءٍ ، عليه ، وأقران[1]

ومن قد أردتم جاهدين سِقاطَه ،
فأعيا كُمُ في كلّ سرّ وإعلان

لَعَمْرِي ، لئن قلتم بما أنا أهلُه ،
ليستنفدنّ القولَ تعظيمُكم شاني

وجَحْدُكم إيّايَ ما تعلمونه ،
وإقرارُكم عندي بذلك سِيّان

ألاَ يَزجُرُ الجُهّالَ عنّا أميرُنا ،
وموسى وداك[illegible] من آل حَرّان

ولا سيّما مَنْ بانَ للناس شرُّه ،
فما يَتَمارى في مذاهبه اثنان

الثناء عليه

قال لي[2] محمد بن عمر الجُرجانيّ ، وقد تذاكرْنا إسحاقَ يوماً بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفَه . كان والله إسحاق غُرّةً

---

١ الورد الجري.
٢ الحديث ليعقوب بن اسرائيل قرقارة .

في زمانه، وواحداً في دهره عِلماً وفقهاً وأدباً ووقاراً ووفاءً وجودةَ رأي وصحّـةَ مودّة كان والله يُخرِس الناطقَ إذا نطق، ويُحيّر السامعَ إذا تحدّث، لا يَملّ جليسُه مَجلِسَه، ولا تَمُجّ الآذانُ حديثَه، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته. إن حدّثك ألهاك، وإن ناظرك أفادك، وإن غنّاك أطربك. وما كنتَ ترى خَصْلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيُقدِم أحدٌ على مُساجلته ومباراته

يغني المأمون

أمر المأمون يوماً بالفَرْش الصّيفيّ أن يُخرَج؛ فأخرج فيما أخرج منه إبساطٌ طَبَرِيّ أو أَصْبَهْبذانيّ[1] مكتوب في حواشيه:

لَجّ بالعين واكِفُ،
من هَـوًى لا يُساعِفُ

كلّما جَفّ دمعُـه،
هيّجتْـه المعـازِف

إنما الموتُ أن تفا
رقَ مَنْ أنت آلِفُ

---

[1] اصبهبذان: مدينة في بلاد الديلم.

لكَ حُبّان في الفؤاد
تَليدٌ وطارِف

قال فاستحسن المأمون هذه الأبيات، وبعث الى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجّل به؛ فصنع فيها الهَزَج الذي يُغنّى به اليومَ قال أحمد وسمعها أبي منه فقال لو كان هذا الهَزَج لحَكَم الوادي لكان قد أحسن. يريد أنَّ حكماً كان صاحبَ الأهزاج.

مدحه عند الواثق

تذاكرنا[1] يوماً عند أبي صنعةَ إسحاق، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحناً صنعه في شعر ابن ياسين

الطُّلول الدّوارِسُ
فارقتْها الأوانِسُ

أَوحشت بعد أهلها،
فهي قَفْرٌ بَسابِس[2]

قال فقال أبي لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى، «الطلول الدوارس» كلمتان، و«فارقتها الأوانس» كلمتان، وقد

١ الحديث لابن المكي
٢ البسابس، واحدها بسبس القفر

عنّى فيهما استهلالاً وبسيطاً وصاح وسَجَح ورجّع النغمةَ واستوفى ذلك كلّه في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله ؛ فمن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربه

ثم قال إسحاقُ والله في زماننا فوق ابن سرَيْج والغَريض ومَعْبَد، ولو عاشوا حتى يَرَوه لعَرفوا فضلَه واعترفوا له به

وأخبرني عمّي عن يزيد بن محمد المهلّبيّ أنه كان عند الواثق فغنّته شَجا هذا الصوتَ ؛ فقال الواثق مثلَ هذا القول والمذكور أنّ ابن المكيّ قاله ؛ فلا ادري أهذا وَهْمٌ من يزيد ، أو اتفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى ، او اتفقت عليه قريحتاهما

يعجب بغناء خباز

أرسل[1] إليّ الفضلُ بن الرّبيع يوماً والى الزُّبَير بن دَحْمان، فوافق مجيئُنا شغلاً كان له ، فصِرنا الى بعض حُجَره ، فنَعَستُ فنِمتُ فاذا الزُّبير يحرّكني فانتبهتُ فاذا خَبّازٌ في مطبخ الفضل يضرب بالشّوبَق[2] يُغنّي

بدَيرِ القائم الأقصى
غزالٌ شَفّني ، أحْوى[3]

---

١ الحديث لاسحاق .
٢ الشوبق : خشبة الخباز (الشوبك)
٣ دير القائم الأقصى : موضع على شاطىء الفرات

بَرَى حبي له جسمي،
وما يَدري بما ألقى

وأخفي حبَّه جُهدي،
ولا والله ما يَخْفَى

الشعر والغناء لاسحاق

قال فقال لي الزُّبير تَضَنّ بهذا وانظر من يبتذله !
فقلت لا أضَنّ بغناء بعد هذا

يستحسن اصواته من غيره

كنّا[1] أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين، فيهم إسحاق وعَلّويه ومُخارِق وعمرو بن بانة؛ فغنّى مخارِق في الثقيل الأول

أعاذلُ! لا آلوكِ، إلاّ خليقتي،
فلا تجعلي فوقي لسانَكِ مِبْرَدا

ذَريني أكنْ للمالِ ربّاً، ولا يكن
ليَ المالُ ربّاً، تَحْمَدي غِبَّه غدا

---

[1] الحديث لصالح بن الرشيد

ذَريني يكنْ مالي لِعرضي وقـايةً ،
يَقِي المالُ عِرضي قبـل أن يتبدّدا

ألم تعلمي أني ، إذا الضيفُ نابني
وعزّ القِرى ، أقري السديفَ المسرهدا؟[1]

فقال له المأمون لمن هذا اللحن ؟

قال لهذا الهزَبْر الجالس ، يعني إسحاق

فقال المأمون لمخارق قم فاقعد بين يديّ وأعِد الصوت

فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده ، وشرب المأمون عليه رطلاً ؛ ثم التفت الى إسحاق فقال له غنّ هذا الصوت

فغنّاه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخـارق ؛ ثم دار الدورُ الى عَلّويه ، فقال له غنّ

فغنّى أيضاً

أُريتُ اليومَ نارَكِ لم أُغَمِّضْ
بواقِصةٍ ، ومَشْرَبُنـا بَرُودُ[2]

فلم أرَ مثـلَ موقِدها ، ولكن
لأيّـة نظرةٍ زَهَر الوَقـودُ[3]

---

١ السديف السنام او شحمه . المسرهد المقطع أو الثمين
٢ واقصة منزل بطريق مكة البرود : البارد
٣ زهر الوقود أضاءت ناره

فبِتُّ بليلةٍ ، لا نومَ فيها ،
أُكابدُها وأصحابي رُقود

كأنَّ نجومَها رُبِطتْ بصَخْرٍ
وأمراسٍ تدور وتستزيد[1]

فقال له المأمون لمن هذا الصوت ؟

فقال لهذا الجالس ، وأشار الى إسحاق

فقال لعَلّويه: أعِدْه؛ فأعاده ، فشرِب عليه رطلاً ؛ ثم قال لاسحاق : غَنّه؛ فغنّاه ، فلم يطرَب له طَرَبَه لعَلّويه فالتفت إليَّ إسحاق ثم قال لي أيها الأمير ، لولا أنه مجلس سرور وليس مجلسَ لَجاجٍ وجِدال لأعلمتُه أنه طرِب [illegible] ، وأنّ الذي استحسنه إنما هو تزايدٌ[2] منهما يُفسد قسمةَ [illegible] ـتَه ، وأنّ الصوت ما غنّيتُه لا ما زادا

ثم أقبل عليهما فقال يا مخنَّثان ، قد علمتُ أنكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رفعتي ، وأنا على مكافأتكما قادر

فضحك المأمون وقال له ما كان ما رأيتَه من طَرَبي لهما إلا استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك

---

١ يريد أن ليلته طويلة لا تنقضي

٢ التزايد : تكلف الزيادة

بين يدي المعتصم

دخلت[1] يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظِباء مذبَّحة وطيرُ ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب ؛ فأمرني بالجلوس والغناء ؛ فجلستُ وغنّيته

أشتهينا ، في ربيعٍ مرةً ،
زهَمَ الوحش على لحم الابل[2]

فغدَونا بطُوالٍ هيكَلٍ ،
كعسيب النخل ميّادٍ خضِل[3]

الشعر يقال انه لأعشى هَمْدان

فتبسّم وقال وأين رأيت لحم الإبل ! فغنّيته

ليس الفتى فيهم ، إذا
شَرِب الشرابَ ، مُؤنّبا

لكن يروحُ مُرَنّحاً ،
حسنَ الثيابِ ، مُطيَّبا

---

١ الحديث لاسحاق

٢ الزهم : شحم الوحش من غير ان يكون فيه زهومة ، اي كراهة ريح او تغير

٣ الهيكل الضخم من الحيوان. العسيب جريدة النخل الميّاد المتمايل. الخضل: الندي.

يسقونه صِرفاً على
لحم الظباءِ مُضهَّب[1]

فقال هذا أشبه ، وشرِب ثم غنّيته بشعر وَضّاح اليمن

أبى القلبُ اليمانيّ ،
الذي تُحمَدُ أخلاقُه

ويرقصُ له اللحنُ ،
فما تفْتَق أرتاقه[2]

غزالٌ أدعجُ العين ،
رَبيبٌ ، خدلّجٌ ساقه[3]

رماني فسبى قلبي ،
وأرميه فأشتاقه

فطرِب وقال : هذا والله أحسن صيد والذّه ، وشرِب عليه بقيّة يومه وخلَع عليّ وأمر لي بجائزة

دقته في الوصف

حدّثني عمي قال حدّثني فَضْل اليزيديّ قال

---

١ المضهب : المقطع
٢ ارتاق ، واحدها رتق : الشق ورتق الشق : اصلحه وضم بعضه الى بعض .
٣ الخدلج الممتلىء الساقين ، ومنع ربيباً من الصرف ليستقيم الوزن

قال لي إسحاق يوماً في عُرْض حديثه دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصٌ دَبيقيّ[1] كأنما قُدَّ من جِرْم الزُّهَرة[2]؛ فضحِكتُ؛ فقال ما أضحكك ؟

فقلت من مبالغتك في الوصف

فتبسّم. قال الفضل وما سمعتُ محدّثاً قطُّ ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً

يتبرم باسم مغن

قال لي[3] إسحاق وَدِدت أنّ كل يوم قيل لي: غَنِّ، أو قيل لي عند ذِكري المغنّي، ضُرِب رأسي خمسةَ عشرَ سوطاً، لا أقوى على أكثر منها، ولم يُقَلْ لي ذلك

لحن على لحن أذان

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد قال: صنع أبي لحنه في «تَشَكّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ» على لحن أذانٍ سمِعه

حفظه للاهزاج

وتذاكرنا يوماً الهَزَج عند المأمون؛ فقال عمرو بن بانة ما أقله في الغناء القديم!

---

١ ديبقي : منسوب الى دبيق وهي بليدة كانت بين الفرما وتنيس من اعمال مصر
٢ الزهرة: كوكب من السيارة معروف
٣ الحديث لمحمد بن مالك .

فقال إسحاق ما أكثره فيه !

ثم غنّاهم ثلاثين هَزَجاً في إصبع واحدة ومجرى واحد ، ما عرفوا جميعاً منها إلا نحو سبعة أصوات

ذل المغنين له

قلت[1] لزُرزور ما لكم تَذِلّون لاسحاق هذا الذلّ ، وما فيكم أحدٌ إلا وهو أطيب صوتاً منه ، وما في صنائعكم وَصْمة !

فقال لي لا تقل ذلك ، فوالله لو رأيتنا معه لرحِمتَنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرصاص في النار !



خلاف على النرد

حدّثني[2] إسحاق قال

لاعبت الفضل بن الربيع بالنَّرد ، فوقع بيننا خلاف ، فحلف وحلفت ، فغضب عليّ وهجَرني ، فكتبت اليه

يقول أناسٌ شامتون ، وقد رأَوْا
مُقامي وإغبابي الرواحَ الى الفضلِ[3]

---

١ الحديث لعافية بن شبيب

٢ الحديث لعون بن محمد

٣ الاغباب : زيارة القوم يوماً وتركهم يوماً

لقد كان هذا خُصَّ بالفضل مرةً ،
فأصبح منه اليومَ منصرمَ الحبل

ولو كان لي في ذاك ذنبٌ علمته
لَقَطّعتُ نفسي بالمَلامة والعذل

وعرضتُ الأبيات عليه ؛ فلمّا قرأها ضحك وقال أشدُّ من ذنبك أنك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً ، والله لولا أني أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه ، وأنّ حسنك وقبيحك مضافان إليّ لأنكرتني ؛ فأصلح الآن قلبَ عون ؛ وكان يَحْجبُه

فخاطبته في ذلك فكلّمني بما كرهت ؛ فقلت أتدخل بيني وبين الأمير أعزّه الله !

ثم علمت أنه لا يتمّ لي رضا الفضْل إلا بعد أن يرضى عون ، فقلت فيه

عَونُ يا عَوْنُ ليس مثلَك عونُ
أنت لي عُدّةٌ ، إذا كان كونُ

لك عندي والله ، إن رَضيَ الفضلُ ،
غلامٌ يُرْضيك ، أو بِرذونُ

فدخل الى الفضل فترضّاه لي فرضِي ؛ ثم قال له ويلك يا عون ! إنه والله إنما هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك ، هذا تعريض بك
قال فكيف أصنع به مع محلّه عند الأمير !

شكاية المأمون اليه

أخبرني الصُّوليّ عن إسحاق ، قال

استدناني المأمون يوماً وهو مُستَلْقٍ على فِراشٍ حتى صارت ركبتي على الفراش ، ثم قال لي يا إسحاق ، أشكو إليك أصحابي فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلتْ بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدّد جماعةً من خواصّه

فقلت له أنت يا سيّدي بتفضُّلك عليّ وحسنِ رأيك فيّ ظننتَ أني ممّن يُشاوَر في مثل هذا ، فجاوزتَ بي حدّي ، وهذا رأيٌ يَجِلّ عني ولا يبلُغه قدري

فقال ولِمَ وأنت عندي عاقل ناصح ؟

فقلت هذه المنزلة عند سيّدي علّمتني ألاّ أقول إلاّ ما أعرف ولا أطلبَ إلا ما أنال

فضحِك وقال قد بلغني أنّك في هذه الأيام صنعتَ لحناً في شعر الرّاعي ولم أسمعه منك

فقلتُ يا سيّدي ، ما سمعه أحدٌ إلا جَوارِيّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه

فقال غنّه

فقلتُ الهيبةُ والصَّحْو يمنعانني أنْ أؤدّيه كما تريد ، فلو آنس

أميرُ المؤمنين عبدَه بشيء يُطربه ويقوي به طبعه كان أجود

قال صدقت

ثم أمر بالغداء فتغدّينا ، ومُدّت الستارةُ فغُنّي من ورائها وشربنا أقداحاً ؛ فقال يا إسحاق ، أمَا جاء أوانُ ذلك الصوت ؟

فقلت بلى يا سيّدي ؛ وغنّيتُه لحني في شعر الراعي

ألم تسأل ، بعارمةَ[1] ، الديارا
عن الحيّ المُفارقِ أين صارا ؟

بلى ساءلتها ، فأبتْ جواباً ،
وكيف تُسائل الدِّمَنَ القِفارا ؟

قال فاستحسنه وما زال الشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لي يا إسحاق ، لا طَلبَ بعد وجود البغية ، ما أشرب بقيّة يومي هذا إلاّ على هذا الصوت ؛ ثم وصلني وخلَع عليّ خِلعةً من ثيابه

مدح أعرابية له

كانت[2] أعرابيّة تَقْدَم عليّ من البادية فأفضِل عليها ، وكانت فصيحة ؛ فقالت لي ذات يوم والذي يعلم مغزى كل ناطق لكأنك في عِلمك

---

١ عارمة : موضع في ديار بني عامر بنجد .
٢ الحديث لاسحاق .

وُلدت فينا ونشأت معنا ولقد أريتَني نجداً بفصاحتك ، وأحللتني الرَّبيع بسماحتك ؛ فلا اطّرَدَ لي قولٌ إلاّ شكرتك ، ولا نَسَمَتْ لي ريحٌ إلاّ ذكرتك

معاتبته لمهاجر له

كانت[1] بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا ، فمررتُ ببابه يوماً ، فتذمّمت[2] أن أجوزَه ولا أدخل إليه ، فدعوتُ بدواةٍ وقِرطاس وكتبتُ إليه

رجعنا بالصفاء الى الخليلِ ،
فليس الى التّهاجرُ من سبيلِ
عتابٌ ، في مراجعة ، وصفحٌ ،
أحقُّ بنا وأشبهُ بالجميل

قال ووجّهت بالرُّقعة وقصدت بابَه ، فخرج إليّ حتى تلقّاني ، ورجعنا الى ما كنّا عليه

صدقه في الاخبار

حدّثني الصّوليّ عن الهشاميّ قال

---

١ الحديث لاسحاق.

٢ تذمّمت : استنكفت .

كان أهلُنا يعتبرون[1] على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره، بأن يُجلسوا كاتبتين فهمتين خلفَ السِّتارة ، فتكتبان ما يقوله وتضبُطانه ، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرؤها من دفتر؛ فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلاّ الحقّ

يخطي علويه

حدّثني الصُّولي عن إسحاق قال

كنّا عند المأمون ، فغنّاه عَلّويه

لعَبْدةَ دارٌ ما تكلّمنا الدارُ،
تَلُوح مَغانيها كما لاح أسطارُ

أُسائل أحجاراً ونُؤْياً مُهدَّماً ،
وكيف يردّ القولَ نؤيٌ وأحجارُ ![2]

الشعر لبَشّار والغناء لإبراهيمَ

قال فقال المأمون لمن هذا اللحن ؟

فقلت لعبد أمير المؤمنين أبي ، وقد أخطأ فيه علويه

---

١ اعتبر الشيء : اختبره ونظر فيه ورده الى نظيره فحكم عليه بحكمه
٢ النؤي : الحفير أو الحاجز حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل

قال ففنّه أنت

فغنّيته، فاستعادنيه مراراً وشرب عليه أقداحاً؛ ثم تمثّل قولَ جرير

وابنُ اللّبونِ، إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ،
لم يستطع صَولةَ البُزْلِ القَناعيسِ[1]

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم

حواره مع علويه

كان[2] إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغنّي إلا الخليفةَ أو وليَّ عهده أو رجلًا من الطاهريّة مثلَ إسحاق بن إبراهيم وطبقتِه. فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم، فاشتهى الواثق أن يُضَرِّبَ[3] بين مخارق وعلويه وإسحاق، ففعل حتى تهاتروا؛ ثم قال لاسحاق كيف هما الآن عندك؟

فقال أما مُخارق فمُنادٍ طيّبُ الصوت؛ وأما علويه فهو خير

---

١ ابنُ اللبون ولد الناقة لز: شد ولصق القرن الحبل. البزل، واحدها بازل: البعير الذي فطر نابه، اي انشق القناعيس، واحدها قنعاس: الجمل الضخم العظيم الشديد.

٢ الحديث لجد أبي العبيس بن حمدون

٣ التضريب الاغراء

حِمارَي العِبادي[1] ، وهو على كل حال شُيَيء[2] ، يريد تصغيره

فوثبَ علويه مُغضَباً ، ثم قال للواثق جواريه حرائرُ ونساؤه طوالقُ ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقّ أبيـك ، أن يصدُق عمّا أسأله عنه ، لأتوبنّ عن الغناء ما عِشْتُ

فقال له الواثق لا تُعَربِـد يا عليّ ، نحن نفعـل ما سألت ؛ ثم حَلـّف إسحاق أن يصدُق فحلف

فقال له مَنْ أحسنُ الناسِ اليوم صنعةً بعدك ؟

قال أنت

قال فمن أضربُ الناس بعد ثـَقِيف ؟

قال أنت

قال فمن أطيبُ الناس بعد مُخارق ؟



قال أنت

قال علويه لاسحاق : أهذا قولُك فيّ وأنت تعلم أني مُصَلـّي[3] كل سابق فاضل ، وأني ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلُهم ولا يكون ! فما أنت وغناؤك الذي لا يُسمَع انخفاضاً !

---

١ يشير بهذا الى المثل المشهور ، وهو ما يقال من أنه كان لعبادي حماران ، فقيل له : أي حماريك شر ؟ قال هذا ثم هذا . أي لا فضل لأحدهما على الآخر يضرب هذا المثل في خلتين احداهما شر من الأخرى .

٢ شيىء : تصغير شيء .

٣ المصلي : التالي للسابق من خيل السباق . والسابق الاول

فغضب إسحاقُ ، وانتهر الواثقُ علويه ثمّ أخذ إسحاقُ عوداً فنقل مَثْناه الى موضع البَمّ[1]، وزِيرَه الى موضع المثلث[2] ، وجعل البَمّ والمثلثَ مكان الزير والمثنى، وضرب وقال ليغنِّ من شاء منكم فغنّى مُخارق عليه

تَقَطَّع من ظلاّمةَ الوصلُ أجمعُ،
أخيراً ، على أنْ لم يكن يَتَقطَّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَبِنْ في الأوتار خلافٌ ولا فُقد من الايقاع شيء ولا بان فيه اختلال ، فعظُم عجبُ الواثق من فعله ؛ وقام إسحاق فرقَص طرباً ، فكان والله أحسنَ رقصاً من كُبَيْش وعبد السلام، وكانا من أرقص الناس، فقال الواثق لا يكمُل أحدٌ أبداً في صناعته كمثل كمال إسحاق

ابن طاهر يمدحه

دخلت[3] على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيمَ بن وَهْب بالشّطرنج ، فغلبه عبد الله ، وأومأ إليّ بأن أكايده ؛ فقلت

---

١ المثنى : من الاوتار ما بعد الاول . البم : الوتر الغليظ

٢ المثلث: من الأوتار ما كان على ثلاث طاقات او هو الثالث منها. الزير الدقيق من الاوتار او أحدها .

٣ الحديث لاسحاق

قد ذهبتْ منكَ ، أبا إسحاقِ ،
مثلَ ذهابِ الشهرِ بالمُحاقِ[1]

فقال لي عبد الله إنّ فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا ، كما قال الشاعر في إبله

إذا أتاها طالبٌ يَستامُها ،
تكاثرتْ في عينه كِرامُها

الواثق يأخذ لحنه

أخبرني محمد بن المَرْزُبان عن إسحاق قال

أنشدتْني أمّ محمد الأعرابية نفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ ، فاستحسنتهُما ، وصنعت فيهما لحناً غنّيته الواثقَ ؛ فاستعاده حتى أخذه ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم ؛ وهما

عسى اللهُ ، يا ظمياءُ ، أن يَعكِسَ الهوى ،
فَتَلْقَيْنَ ما قد كنتُ منكِ لَقِيتُ

ثَراءً فتحتاجي إليّ ، فتعلمي
بأني بهِ أجْزيكِ حينَ غَنِيتُ

---

١ المحاق : آخر الشهر اذا امحق الهلال فلم ير .

يضرب على عود مشوش

كان إسحاق الموصليّ وإبراهيم بن المهديّ إذا خلَوَا فهما أخوان ، وإذا التقيا عند خليفة تكاشحا[1] أقبحَ تكاشُح ؛ فاجتمعا يوماً عند المعتصم ؛ فقال لإسحاق يا إسحاق ، إن إبراهيم يَثْلُبك ويَغْضّ منك[2] ويقول إنك تقول إنّ مخارِقاً لا يُحسن شيئاً ، ويتضاحك منك

فقال إسحاق لم أقل يا أمير المؤمنين إن مخارقاً لا يُحسن شيئاً ، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجُه وتخريجي ! ولكن قلت إنّ مخارقاً يملك من صوته ما لا يملكه أحد ، فيتزايد فيه تزايداً لا يُبقي عليه ويتغيّر في كل حال فهو أحلى الناس مسموعاً وأقلّه نفعاً لمن يأخذ عنه ، لقلّة ثباته على شيء واحد ولكني أفعل الساعةَ فعلاً إن زعمَ إبراهيم أنه يُحسنه فلستُ أُحسِن شيئاً ، وإلاّ فلا ينبغي له أن يدّعي ما ليس يُحسنه

ثم أخذ عوداً فشوّش أوتارَه ، ثم قال لإبراهيم غنِّ على هذا أو يغنّي غيرُك وتضرِب عليه

---

١ تكاشحا تعاديا

٢ يغض منك : يضع من قدرك

فقال المعتصم يا إبراهيم، قد سمعت، فما عندك؟

قال ليفعلنّه هو إن كان صادقاً

فقال له إسحاق غنّ حتى أضربَ عليك

فأبى

فقال لزُرْزور غنّ؛ فغنّى وإسحاقُ يضرب عليه حتى فرغ من الصوت ما علم أحد أن العود مشوّش

ثم قال هاتوا عوداً آخر؛ فشوّشه وجعل كلّ وترٍ منه في الشدّة واللين على مقدار العود المشوّش الأوّل حتى استوفى؛ ثم قال لزُرْزور خذ أحدَهما!

فأخذه

ثم قال انظر الى يدي واعمل كما أعمل واضرب

ففعل؛ وجعل إسحاق يغنّي ويضرب وزُرْزور ينظر إليه ويفعل كما يفعل؛ فما ظنّ أحدٌ أن في العودين شيئاً من الفساد لصحة نَغَمهما جميعاً الى أن فرغ من الصوت

ثم قال لإبراهيم خذ الآن أحد العودين، فاضرب به مبدأً أو عمودَ طريقةٍ أو كيف شئتَ إن كنت تُحسن شيئاً

فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً؛ فقال له المعتصم أرأيتَ مثل هذا قطّ؟

قال لا، والله ما رأيتُ ولا ظننت أنّ مثله يكون

يوم لدن الطرفين

دعاني[1] إسحاقُ يوماً ، فمضيتُ اليه وعنده الزُّبَير بن دَحْمان وعلّويه وحسين بن الضحّاك ، فمرّ لنا أحسن يوم ؛ فالتفت إليّ إسحاقُ ثم قال يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر

أنت والله ، من الأيام ،
لَدْنُ الطّرَفينِ[2]

كلّما قلّبتُ عينيّ ،
ففي قُرّةِ عَينِ

الواثق يخلع عليه

دخلتُ[3] يوماً على الواثق فقال لي يا إسحاق ، إني أصبحت اليوم قَرِماً[4] الى غنائك فغنّني ؛ فغنّيته

من الظباءِ ظباءٌ همُّها السُّخُبُ
ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ[5]

---

١ الحديث للفضل اليزيدي .

٢ لدن لين

٣ الحديث لاسحاق

٤ القرم : شدة الشهوة الى اللحم

٥ السخب ، واحدها سخاب قلادة تتخذ من قرنفل وغيره يقول ان في النساء المكنى عنهن بالظباء من لا هم لهن الا التزين وفتنة القلوب

لا يَفترِبْن ، ولا يَسكُنَّ باديةً ،
وليس يَدرين ما ضَرعٌ ولا حَلَبُ[1]

إذا يدٌ سَرَقتْ، فالقطع يلزمها ،
والقطع في سَرَقٍ بالعين لا يجِبُ

قال فشرب عليه بقيّةَ يومه وبعضَ ليلته ، وخلع عليّ خِلْعةً من ثيابه

يشتاق الى بغداد

خرجتُ مع الواثق الى الصالحية[2] وهو يريد النزهة ، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيتُ فقال لي بحياتي أذَكَرتَ بغدادَ فبكيتَ شوقاً إليها ؟

فقلت نعم ؛ وغنّيتُه

وما زلت أبكي في الديار ، وإنما
بكائي على الأحباب ليس على الدار

قال فأمر لي بمائة ألف درهم وصرَفني

---

١ يريد انهن من المنعمات لا يشتغلن ، ولا يعرفن النياق وحلبهن يعني انهن من المخدرات .
٢ الصالحية محلة ببغداد تنسب الى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين

طيب هواء النجف

ما وصلني[1] أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلني به الواثق ولقد انحدرتُ معه الى النَّجف[2]، فقلت له يا أمير المؤمنين ، قد قلت في النجف قصيدة ؛ فقال هاتِها ؛ فأنشدتُه

يا راكب العيسِ ! لا تعجل بنا ، وقِفِ
نُحَيِّ داراً لسُعْدى ، ثم نَنْصرِفِ[3]

حتى أتيتُ على قولي

لم ينزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جَبلٍ
أصفى هواءً ، ولا أعذى من النَّجفِ[4]

حُفَّت ببَرٍّ وبحرٍ من جوانبها ؛
فالبرُّ في طَرَفٍ والبحر في طرفِ

وما يَزالُ نسيمٌ من يَمانِيَةٍ
يأتيك منها برَيَّا رَوضَةٍ أُنُفِ[5]

---

١ الحديث لاسحاق .

٢ النجف موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها

٣ العيس : النياق

٤ أعذى أطيب هواء

٥ الروضة الأنف : التي لم يرعها أحد

فقال صدقتَ يا إسحاق ، هي كذلك

ثم أنشدتُه حتى أتيت على قولي في مدحه

لا يحسَبُ الجودَ يُفْني مالَه أبداً ،
ولا يرى بذلَ ما يَحْوي من السَّرَف

ومضيت فيها حتى أتممتُها ؛ فطرِب وقال أحسنتَ والله يا أبا محمد ؛ وكنّاني يومئذ ، وأمر لي بمائة ألف درهم ؛ وانحدر الى الصالحيّة التي يقول فيها أبو نُوَاس

بالصالحيّة من أكنافِ كَلْواذِ[1]

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت

أتبكي على بغداد وهي قريبةٌ ،
فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعْدا

لَعَمْرُك ما فارقتُ بغدادَ عن قِلًى ،
لوَ انّا وجدنا عن فِراقٍ لها بُدّا

إذ ذكرتْ بغدادَ نفسي تَقطّعتْ
من الشوق ، أو كادت تموت بها وَجْدا

كفى حَزَناً أن رُحْتُ لم أستطع لها
وَداعاً ، ولم أُحدثْ بساكنها عهدا

---

[1] كلواذ : مدينة كانت قرب بغداد في ناحية الجانب الشرقي منها

قال فقال لي يا موصليّ، أشتقت الى بغداد ؟

فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن من أجل الصبيان ، وقد حضرني بيتان

فقال هاتهما

فأنشدتُه

حَنَنْتَ الى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ ،
وشاقك منهـــمُ قربُ المَزارِ

وأبْرحُ ما يكون الشوقُ يوماً ،
إذا دنَتِ الديـــار من الديار

فقال لي يا إسحاق ، صِرْ الى بغداد فأقِمْ مع عيالـك شهراً ثم صِرْ إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم

لحنه ولحن الواثق

أخبرنا يحيى بن عليّ قال

لمّا صنع الواثق لحنَه في

أيا مُنشِرَ المَوتى ! أَقِـدني من التي
بها نَهِلَتْ نفسي سَقاماً ، وعَلَّتِ[1]

---

١ اقدني منها اقتلها بي قصاصاً نهلت : شربت الشرب الأول علت شربت الشرب الثاني

لقد بَخِلتْ ، حتى لو اني سألتُها
قذى العين ، من سافي التراب ، اضنَّتِ [1]

أعجب به إعجاباً شديداً ، فوجّه بالشعر الى إسحاق الموصليّ وأمره أن يغنّي فيه ؛ فصنع فيه لحنَه الثقيل الأوّلَ ، وهو من أحسن صنعةِ إسحاق ؛ فلمّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُر لحنُه في عينه ، وقال ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هـذا الشعر ، لأنه قد أفسد علينا لحننا

قال عليّ بن يحيى : قال إسحاق ما كان يحضُر مجلسَ الواثق علمُ منه بهذا الشأن

نسبة هذين الصوتين

أيا مُنشِر الموتى ! أقِدْني من التي
بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً ، وعَلَّتِ

لقد بَخِلتْ ، حتى لوَ اني سألتُها
قَذى العين ، من سافي التراب ، اضنَّت

الشعر لأعرابيّ

أنشدني هذه الأبياتَ عمّي عن إسحاق أنه أنشدَ لأعرابيّ فقال

---

١ القذى ما يدخل في العين فيؤذيها سافي التراب ما ذرته الريح

ألا قاتَلَ اللهُ الحمامـةَ ، غُدْوةً ،
على الغصنِ ، ماذا هيّجتْ حـين غنّتِ

تغنّتْ بصوتٍ أعجميٍّ ، فهيّجتْ ،
من الشوق ، ما كانت ضلوعي أجنّتِ [١]

فلو قَطَرتْ عـينُ امرئٍ ، من صبابةٍ ،
دماً قطرتْ عيني دماً ، فألمّتِ [٢]

فما سكتتْ ، حتى أوَيْتُ لصوتها ،
وقلتُ تُرى هذي الحمامةُ جُنّتِ [٣]

ولي زَفَراتٌ ، لو يدُمْنَ قتلْنَني
بشوقٍ الى [illegible] قد تولّتِ [٤]

إذا قلتُ هذي زَفرةُ اليوم قد مضتْ ،
فمَنْ لي بأخرى في غدٍ قد أظلّتِ [٥]

فيا مُحْيِيَ الموتى أقِدْني من التي
بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً ، وعَلّتِ

---

١ أجنت ستَرت
٢ يريد بقوله المت ان عينه ذهب بصرها لبكائها الدم
٣ أوبت لصوتها رققت له ورحمته
تولت أعرضت
٥ أظلت يقال أظله الشيء غشيه ، وألقى عليه ظلا

لقد بخِلتْ ، حتى لوَ انّي سألتُها
قذَى العينِ ، من سافي التراب ، اضنّتِ

فقلتُ ارحَلا يا صاحبيّ ! فليتني
أرى كلّ نفسٍ أُعْطِيَتْ ما تمنّتِ

حلفتُ لها بالله ما أمٌّ واحدٍ ،
إذا ذكرتْه آخرَ الليل حنّتِ

وما وَجْدُ أعرابيّة ، قذَفتْ بها
صروفُ النّوى ، من حيثُ لم تكُ ظنّتِ

إذا ذكرتْ ماءَ العضاه وطِيبَه ،
وبَرْدَ الحِمى ، من بطن خَبْتٍ ، أرَنّتِ [1]

بأكثرَ منّي لوعةً ، غيرَ أنني
أُجَمْجِمُ أحشائي على ما أجَنّتِ [2]

وأما لحن إسحاقَ فإنه غنّى في

لقد بخِلتْ حتى لوَ انّي سألتُها

وأضاف اليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر ، وهو

---

١ العضاه : ضرب من الشجر له شوك . الخبت : الوادي العميق وما اطمأن من الارض واتسع . أرنت المرأة في نوحها صاحت مع البكاء .

٢ أجمجم أطوي احشائي وأخفي بها ما سترته من اللوعة

فإن بخِلتْ ، فالبخل منها سجيّـةٌ ،
وإن بذَلتْ أعطت قليلاً وأكْدَتِ [1]

قال ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسّبابة في مجرى الوسطى

مخارق يكيده

كان الواثق اذا صنع صوتاً قال لاسحاق هـذا وقع الينا البارحة فاسمعه ؛ فكان ربما أصلح فيه الشيءَ بعد الشيء فكاده مخارق عنده وقال له إنما يستجيد صنعتَك إذا حضر ليُقاربَك ويستخرجَ ما عندك ، فاذا فارق حضرتَك قال في صنعتك غيرَ ما تسمع

قال الواثق فأنا أحب أن أقف على ذلك

فقال له مخارق فأنا أغنّيه « أيا منشر الموتى » فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد

قال فافعلْ

فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجَهْده ، وفعل ذلك في مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته ؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق كيف تَرى هذا الصوتَ ؟

قال له فاسدٌ غير مَرْضِيّ

---

١ أكدت : قلت عطاءها ومنعته

فأمر به فسحب من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأمر بنفيه الى بغداد .

ثم جرى ذِكرهُ يوماً فقالت له فريدةُ يا أمير المؤمنين ، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغَماً وجودةً ، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سرّه ، ويفهم من غامض عِلل الصنعة ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحْضِرْه أمير المؤمنين ويحلّفه بغليظ الأيمان أن يَصدُقَه عما يسمع ، وأُغنّيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسداً فصدّق عنه لم يكن عليه عتب ، ووافقناه عليه حتى يستوي ، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد ؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده

فأمر بالكتاب بحمله فحُمِل وأُحضِر ، فأظهر الرضا عنه ولزِمه أياماً ؛ ثم أَحلفه ليصدُقنّ عمّا يمرّ في مجلسه فحلف له ثم غنّى الواثق أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده ؛ ثم غنّته فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه ، فرضيه واستجاده ، وقال له ليس على هذا سمعتُه في المرة الأولى . وأبان عن المواضع الفاسدة وأَخبرَ بإفساد مُخارق إياها ؛ فسكن غضبُه ووصَل إسحاقَ وتنكّر لمُخارِق مدّة

بينه وبين الواثق

حدّثني إسحاق الموصلي[١]

أنه دخل على إسحاق بن إبرهيم الطّاهِريّ ، وقد كان تكلّم له في

---

١ الحديث لمحمد بن مالك .

حاجةٍ فقُضيت ، فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطْ به أمنيّةٌ ولم تبلُغه رغبة

قال فاشتهى هذا الكلامَ واستعاده منّي فأعدتُه ثم مكثنا ما شاء الله ، وأرسل الواثق الى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أغنّي فيه ، وهو

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها

فغنّيته إياه ، فأمر لي بمائة ألفِ درهم فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر أن يأخذ هذا الغناء منّي

فلمّا طال مُقامي قلت له يا أمير المؤمنين ، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هذا الصوت مني

فقال لي ولِم ؟ وَيْحَكَ !

فقلت : لأني لا أُصَحّحه ولا تسخو نفسي به لهم ؛ فما فعلت الجارية التي أخذتَها مني ؟

يعني شجا ، وهي التي كان أهداها الى الواثق وعَمِل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه الى شعرائه ومُغنّيه ، وهـــو الذي في أيدي الناس يوم

فقال وكيف ؟

قال لأنها تأخذه منّي ويأخذونه هم منها

فأمر بها فأخرجتْ وأخذتُه على المكان ؛ فأمر لي بمائة ألف درهم وأذِن لي في الانصراف

وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً ؛ فقلت للواثق عند وَداعي له أعطاكَ الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِط بـه أُمْنيّةٌ ولم تبلُغه رغبة

فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : ايْ إسحاقُ أتُعيد الدعاء !

فقلت إي والله أُعيده قاصٍ أنا أو مغن

وقدِمتُ بغداد ، فلمّا وافى إسحاقُ جئته مُسلِّماً عليه ؛ فقال لي وَيْحَكَ يا إسحاق ! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟

قلت لا أيها الأمير

قال قال لي ويحك ! كَنا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحنِنا حتى أفسده علينا

قال عليّ بن يحيى فحدّثني إسحاق قال استأذنتُ الواثقَ عدّة دَفَعات في الانحدار الى بغداد فلم يأذن لي ، فصنعتُ لحناً في

خليليّ عُوجا من صدورِ الرَّواحلِ

ثم غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّـة قِسْمته ومُكْث صوتِه أيّاماً ، ثم قال لي يا إسحاقُ ، قد صنعتُ لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته

وأمَرَ مَن وراء السّتارة فغنّوه

فقلت : قد والله يا أمير المؤمنين بغّضتَ إليّ لحني وسمّجتَه عندي .
وقد كنتُ استأذنتُه في الانحدار الى بغداد فلم يأذَن لي ؛ فلمّا صنَع هذا اللحن وقلتُ له ما قلتُ ، أتبعتُه بأن قلت له قد والله يا أمير المؤمنين افتصصْتَ مني في لقد بخِلتْ ، وزدتَ

فأذن لي بعد ذلك

نسبة هذا الصوت

خليليّ عُوجا ، من صدور الرّواحلِ ،
بجَرْعاءِ حُزوى ، فابكِيا في المنازلِ [1]

لعلّ انحدار الدّمع يُعقب راحةً
من الوَجْدِ ، أو يَشفي نَجِيّ البلابلِ [2]

الشعر لذي الرُّمّة

ابن عياش وذو الرمة

أخبرني أحمد بن عَمّار عن أبي بكر بن عَيّاش قال
كنتُ إذا أصابتني المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء ، فأجد

---

١ عوجا اعطفا . الرواحل ، واحدتها راحلة : النجيب الصالح من الابل. الجرعاء : الرملة السهلة المستوية . حزوى : موضع بنجد في ديار تميم .
٢ البلابل : الهموم في الصدور

ذلك يشتدّ عليّ ، حتى مررتُ ذات يوم بالكُناسة[1] فإذا أنا بأعرابيٍّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشِد

خليليّ عوجا ، من صدورِ الرّواحل ،
بجَرْعاءِ حُزوى ، وابكيا في المنـازلِ

لعلّ انحـدار الدّمع يُعقِبُ راحةً
من الوجد ، أو يَشفي نَجِيّ البلابـلِ

فسألتُ عنه فقيل لي هذا ذو الرُّمّة ، فكنتُ بعدُ إذا أصابتني مصيبة بكيتُ فأجد لذلك راحة

فقلت قاتل الله الأعرابيّ ! ما كان أعلَمه وأفصحَ لهجتَه !



ايهما أجود ؟

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال

قلت لاسحاق أيّهما أجودُ ، لحنُـك في خليـليّ عوجا ، أم لحن الواثق ؟

فقال لحني أجودُ قِسْمةً وأكثر عملا ، ولحنُه أطرَبُ ، لأنـه جعل رَدّتَه من نفس قِسْمته ، وليس يقدِر على أدائـه إلاّ متمكن من نفسه

---

١ الكناسة : محلة بالكوفة .

قال عليُّ بن يحيى فتأمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق

قال وقال لي إسحاق ما كان بحضرة الواثق أعلم منه بالغناء

ابن المعتز يفضل الواثق

خبرني عليّ بن هارون قال

كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أن الواثق ظلم نفسَه في تقديمه لحنَ إسحاق في لقد بَخِلَتْ

قال ومن الدّليل على ذلك أنه قلّما غُنّي في صوت واحد بلحنين فسقَط أجودُهما وشُهِر الدُّون، ولا يُشْهَر من اللحنين إلا أجودُهما، ولحنُ الواثق أشهرهما، وما يَروي لحنَ إسحاقَ إلا العجائزُ ومن كَثُرتْ روايتُه

يعرض صنعته على اسحاق

كان الواثق يَعرِض صنعتَه على إسحاقَ فيُصلِح فيها الشيءَ بعد الشيء

آخر صوت صنعه

أخبرنا حسين بن يحيى عن حمّاد

أنّ آخر صوت صنعه أبوه لقد بخلت ، ثم ما صنع شيئاً حتى مات

شعر أبي القنافذ

دخل[1] أعرابيّ من بني سُلَيْم سُرَّ مَنْ رأى وكان يُكنى أبا القنافِذ ، فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأذن له ، فلمّا مثل بين يديه أنشده

مِراضُ العيونِ ، خِماصُ البطونِ ،
طِوالُ المتونِ ، قِصارُ الخُطا

عِتاقُ النّحورِ ، رِقاقُ الثغورِ ،
لِطافُ الخصورِ ، خِدالُ الشّوى[2]

عَطابيلُ ، من كلّ رَقْراقة
تَلُوثُ الإزارَ بدِعْص النّقا[3]

---

١ الحديث لاسحاق

٢ عتاق النحور جميلاتها خدال ، واحدتها خدلة : الغليظة الساق المستديرتها الشوى : الاطراف .

٣ عطابيل، واحدتها عطبولة وعطبول: الجارية الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق. الرقراقة : التي كأن الماء يجري في وجهها . تلوث الازار تعصبه . الدعص كثيب الرمل المجتمع .

إذا هُنَّ مَنَّيْنَنا نائلا ،
أبى البُخلُ منهنَّ ذاكَ المُنى

الى النَّفَرِ البيضِ أهلِ البِطاحِ ،
وأهلِ السَّماحِ ، طَلَبْنا النَّدى

لهم سَطَواتٌ إذا هُيِّجوا ،
وحلمٌ إذا الجهلُ حَلَّ الحُبا[1]

يَبِينُ لك الخيرُ في أوجُهٍ
لهم كالمصابيحِ تَجْلُو الدُّجى

سَعى الناسُ كي يُدركوا فضلَهم ،
فقصَّر عن [illegible] مَنْ سَعى

سعى للخلافةِ فاقتادَها ،
وبرَّز في السَّبْقِ لمّا جرى

قال فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنّيت فيها ، وأمرَ للأعرابيّ بعشرين ألفَ درهم ولي بثلاثين ألفَ درهم ؛ وما خرج الناس يومئذ إلا بهذه الأبيات

---

١ الحبا ، واحدتها حبوة الثوب الذي يحتبى به . والاحتباء : ضم الانسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما . وحل الحبا كناية عن القيام .

يطلب نبيذاً

حدّثني عمّي عن إسحاق قال

كتبت الى عليّ بن هشام أطلب منه نبيذاً، فبعث إليّ جمانَ[1] بما التمست، وكتب إليّ قد بعثتُ إليك بشرابٍ أصلبَ من الصخر، وأعتقَ من الدهر، وأصفى من القطْر

لميس تسرق لحنه

لمّا صنع إسحاقُ لحنه

أماويّ! إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ،
ويبقى من المال الأحاديثُ والذّكرُ[2]

وقد علم الأقوامُ لو أنّ حاتماً
يريد ثراةَ المال كان له وفرُ

وكان كثيرَ الملازمة لعبد الله بن طاهر، ثم تخلّف عنه مدة وذلك في أيام المأمون، فقال عبد الله للميسَ جاريته خذي لحنَ إسحاق في

أماويّ! إنّ المال غادٍ ورائحٌ

---

١ جمان لعله وكيل ابن هشام

٢ الشعر لحاتم الطائي، يخاطب ماوية بنت عفزر وقد خطبها الى اهلها

فاخلعيه على

وهبّتْ شَمالٌ ، آخِرَ الليـل ، قَرَّةٌ،[1]
ولا ثوبَ إلاّ بُردُهـا وردائيا

وألقِيه على كلّ جارية تُعلّمينها واشهَريه وألقِيه على من يُجيـده من جواري زُبَيْدة ، وقولي أخذتُه من بعض عجائز المدينة

ففعلتْ ، وشاع أمرُه حتى غُنّي به بين يدي المأمون ؛ فقال المأمون للجارية ممّن أخذتِ هذا ؟

فقالت من دار عبدالله بن طاهر من لمِيسَ جاريتِـه ، واخبرتني أنها أخذته من بعض عجائز المدينة

فقال المأمون لاسحاق ويلك ! قد صِرتَ تسرِق الغِناءَ وتدّعيه ! اسمع هذا الصوت

فسمعه فقال هذا وحياتِك لحني ، وقد وقَع عليّ فيه نَقْب من لصٍّ حاذق ، وأنا أغوص عليه حتى أعرفَه

ثم بَكَّرَ الى عبدالله بن طاهر فقال : أهذا حقّي وحُرمتي وخدمتي! تأخذ لمِيسُ لحني في

أمـاويّ ! إنّ المـال غادٍ ورائحٌ

فتغنّيه في وهبّت شَمـال ! وليس بي ذلك ، ولكن بي أنهـا

---

[1] قرة باردة

فضحكتْني عند الخليفة وادّعتْ أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة

فضحك عبد الله وقال لو كنتَ تُكثِر عندنا كما كنت تفعل لم تُقْدِم عليك لميسُ ولا غيرُها فاعتَذَر فقبل عذرَه، وقال له أيَّ شيء تريد ؟

قال أُريد أن تُكَذّب نفسَها عند من ألقتْه عليها حتى يعلم الخليفة بذلك

قال أفعل

ومضى إسحاقُ الى المأمون وأخبره القصّة ؛ فاستكشفها من لميسَ حتى وقف عليها ، وجعل يعبَث بإسحاق بذلك مدة



جائزة الأمين

حدّثتني[١] شَهَواتُ الصّنّاجة التي كان إسحاق أهداها الى الواثق : أن محمداً الأمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذي صنعه في شعره

يأيّها القائمُ الأمينُ ، فدَتْ
نفسَك نفسي بالمالِ والوَلَدِ

بَسَطْتَ للناسِ ، إذ وَلِيتَهمُ ،
يداً من الجود فوق كلّ يدِ

١ الحديث لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

فأمر له بألف ألفِ درهم ؛ فرأيتُها قد وصلتْ الى داره يحملها مائةُ فرّاش

الواثق يعجب بجوابه

غنّيت[1] الواثق

عَفا طَرَفُ القُرَيَّة ، فالكثيبُ
الى مَلْحاءَ ليس بها عَريبُ[2]

تأبّد رسمُها ، وجرى عليها
سَوافي الريحِ والتُربُ الغريبُ[3]

قال فقال لي يا إسحاق ، قد أحسن ابنُ هَرْمة في البيتين ، فأيّ شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟

قال قلت قوله التُرب الغريب ، يريد أنّ الريح جاءت الى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد

فقال صدقتَ وأحسنتَ ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم

---

١ الحديث لاسحاق
٢ ملحاء : من أودية اليمامة عريب : أحد .
٣ تأبد : أقفر . سوافي الريح : التراب الذي تذويه الريح

بيت يزاد على لحنه

كنّا[1] يوماً عند أحمد بن المُدَبّر ، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ إسحاق

فأصبحتُ كالحَومانِ ينظُر حسرةً
الى الماءِ، عطشاناً ، وقد مُنِع الوِرْدا[2]

وقال ابن المُدَبّر زد فيه

وأمسيتُ كالمسلوبِ مهجةَ نفسه ،
يرى الموتَ في صدّ الحبيب ، إذا صَدّا



ينشد مروان شعره

حدّثني الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد الأزديّ قال حدّثني شيخ من وَلَد المهلّب قال

دخل مَروانُ بن أبي حَفْصة يوماً على ابراهيم الموصليّ ، فجعلا يتحدّثان الى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أبي حفْصة لنفسه

إذا مُضَرُ الحَمراءِ كانت أرُومَتي ،
وقام بِنَصري خازمٌ وابنُ خازمِ

---

١ الحديث لمحمد بن الحرون .

٢ الحومان العطشان . الورد الشرب .

عطَست بأنفٍ شامخٍ ، وتناولتْ
يداي الثُّريّا ، قاعداً غيرَ قائمِ

قال وجعل إبراهيم يحدّث مرْوانَ وهو عنهُ ساهٍ مشغول، فقال له : ما لَكَ لا تجيبني ؟

قال إنك والله لا تدري ما أفرغ ابنُك هذا في اذني

يسكر على شعر

حدّثني أحمد بن جعفر عن يعقوب بن بشر قال

كنتُ مع إسحاق الموصليّ في نُزهة ، فمرّ بنا أعرابيّ ، فوجّه إسحاقُ خلفه بغلامه زِيادٍ الذي تقول فيه

وقُولاَ لساقينا زِيادٍ يُرِقّها ،
فقد هَدّ بعضَ القوم سَقْيُ زِيادِ

قال فوافانا الأعرابيّ ، فلمّا شرِب وسمِع حنين الدّواليب قال

بَكَرتْ تَحِنُّ ، وما بها وَجْدي ،
وأحِنُّ من وَجْدٍ الى نَجْدِ

فدموعُها تَحْيا الرِّياضُ بها ،
ودموعُ عيني أقرَحتْ خدّي

وبساكني نجدٍ كَلِفتُ ، وما
يُغني لهم كَلَفي ، ولا وَجْدي

لو قيسَ وجدُ العاشقين الى
وَجْدي ، لزاد عليه ما عندي

قال : فما انصرف إسحاق الى بيته إلاّ محمولاً سُكْراً ، وما شرب إلاّ على هذه الأبيات

حكاية بساط الفضل

دخلتُ[1] على الفَضْل بن الرَّبيع ، وهو على بساط سُوسَنْجِرْدِيّ[2] ستيني ، مُذهب ، يلمع ، عليه مكتوب «مما أمرَ بصنعته حَمّاد عَجْرَد» ؛ فقال لي أتدري مَنْ حَمّاد عجرد ؟

قلت لا

قال حمّاد عجرد كان واليَ تلك الناحية ؛ أفرأيتَ مثلَه قط ؟

قلتُ لا

فسكتَ ؛ ثم قلتُ أهكذا يفعل الناس ؟

قال أيّ شيء يفعلونه ؟

---

١ الحديث لاسحاق

٢ سوسنجردي نسبة الى سوسنجرد من قرى بغداد .

قلت   تهبه لي

قال   لا أفعل

قلت   إذاً أغضَب

قال   ما شئتَ افعَل

فخرجتُ مُتغاضباً ، فلمّا وافيتُ منزلي إذا برسوله قد لَحِقني بالبساط ، فكتبتُ اليه بيتين لحمزة بن مُضَر

ولقد عدَدْتُ ، فلستُ أُحصِي كلَّ ما
قد نِلتُ منك من المتاع المُونِقِ

بخديعتي ، فأراك مُنخدعاً لها ،
وفُكاهتي وتغضّبي وتملُّقي

فلمّا دخلتُ عليه ضحِك وقال لي البيتان خير من البساط ، فالفضل الآن لك علينا

مناظرته لابيه

أخبرني يحيى بن عليّ عن عمرو بن بانة قال

رأيتُ إبراهيم بن المهديّ يناظر إسحاقَ في الغناء ، فتكلما بما فهماه ولم أفهم منه شيئاً ؛ فقلت لهما لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير

شعره في الواثق

قدِمتُ[1] على الواثق في بعض قَدَماتي، فقال لي: أما اشتقت إليَّ؟ فقلتُ بلى والله يا أمير المؤمنين ؛ وأنشدتُه

أشكو الى الله بُعدي عن خليفته ،
وما أعالج من سُقمٍ ومن كِبَرِ

لا أستطيع رحيلًا ، إن هَمَمتُ به
يوماً إليه ، ولا أقوى على السَّفَرِ

أنوي الرَّحيلَ إليه ، ثم يمنعني
ما أحدَثَ الدهر والأيامُ في بَصَري

داليته في الواثق

قال وقد أشخصه إليه قصيدته الداليّة

ضَنَّتْ سعادُ، غداة البَين، بالزادِ ،
وأخلفتكَ فما تُوفي بميعادِ

ما أنسَ لا أنسَ منها، إذ تُودّعُنا ،
والحزنُ منها، وإن لم تُبْدِه، بادي

---

١ الحديث لاسحاق

لمّا أمرتَ بإشخاصي إليـك ، هفا
قلبي ، حنيناً الى أهـلي وأولادي

ثم اعتزمت ، ولم أحفِل ببَيْنِهِم ،
وطابتِ النفسُ عن فضـلٍ وحمّادِ

كم نعمة لأبيـكَ الخيرِ أفردَني
بها وعَـمّ بأخرى بَعْدَ إفرادِ

فلو شكرتُ أياديـكم وأنعُمَكم
لمّا أحاط بهـا وَصْفِي وتَعْدادي

لأشكرنّك ما ناحَ الحَمامُ ، وما
حدا ، على الصبح في إثر الدُّجى ، حادي

قال عليّ بن يحيى قال لي أحمد بن إبراهيم يا أبا الحسن ، لو قال الخليفة لاسحاق أحضِرني فَضْلا وحمّاداً ، أليس كان قد افتضح من دَمامةِ خَلْقهما وتخلّف شاهِدِهما

الناس حمير

كتب[1] أبي الى إسحاقَ في شيء خالفه فيه من التّجزئـة والقسمة «الى من أحاكمك والناس بيننا حمير!»

[1] الحديث لهبة الله بن ابراهيم بن المهدي .

يرقص ويغني الرشيد

كنتُ[1] مع الرشيد حين خرج الى الرّقّة ، فدخل يوماً الى النساء، وخرجتُ فمضيتُ الى تلّ عزاز[2]، فنزلتُ عند خمّارة هناك . فسقتني شراباً لم أرَ مثله حُسناً وطيباً وطيبَ رائحةٍ في بيت مرشوش وريحانٍ غضّ ، وبرزت بنتٌ لها كأنها خوط[3] بانٍ أو جدل[4] عِنان ، لم أرَ أحسنَ منها قدّاً ، ولا أسيلَ خدّاً ، ولا أعتقَ وجهاً ، ولا أبرعَ ظرفاً ، ولا أفتن طرفاً ، ولا أحسن كلاماً ، ولا أتمّ تماماً ؛ فأقمتُ عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدر عليّ ؛ ثم انصرفتُ فذهبتْ بي رُسُله ، فدخلتُ عليه وهو غضبان ؛ فلمّا رأيتُه خطرْتُ في مِشْيتي ورقصْتُ ، وكانت فيّ فضلةٌ من السُّكْر ، وغنّيتُ

إنّ قلبي بالتّلْ ، تلّ عزازِ ،
عند ظبيٍ من الظّباء الجَوازي[5]

شادنٍ يَسكُنُ الشآمَ ، وفيه ،
مع دَلّ العِراق ، ظَرْفُ الحجازِ

---

١ الحديث لاسحاق

٢ تل عزاز في الرقة .

٣ الخوط : الغصن الناعم .

٤ الجدل الحبل المفتول

٥ الجوازي ، واحدتها جازئة : وهي من الظباء التي استغنت بالعشب والشجر عن الماء .

يا لَقَومي لبِنت قَسٍ أصابتْ
منك صفوَ الهوى ، وليست تُجازي

حلفتْ بالمسيح أن تُنجز الوعدَ ،
وليست تجود بالانجاز

قال إسحاق فسكّن غضبُه ، ثم قال لي أين كنتَ ؟ فأخبرتُه

فضحك وقال إنّ مثل هذا إذا اتّفق لَطيّبٌ ، أعِدْ غناءك .

فأعدته ، فأعجِب به ، وأمرني أن أُعيده ليلةً من أوّلها الى آخرها، وأخذه المغنّون مني جميعاً وشَرِبنا إلى طلوع الفجر

ثم انصرفنا فصلّيت الصبحَ ونِمت ؛ فما استقررنا حتى أتى إليّ رسول الرشيد فأمرني بالحضور، فركبتُ ومَضَيت ؛ فلمّا دخلتُ وجدت ابنَ جامع قد طَرح نفسه يتمرّغ على دكان[1] في الدار لغَلَبة السُّكْر عليه ، ثم قال أتدري لِمَ دُعينا ؟

فقلت لا والله

قال لكنّي أدري ، دُعينا بسبب نصرانيّتك ، عليك وعليها لعنةُ الله

فضحكتُ فلمّا دخلتُ على الرشيد أخبرتُه بالقصة ، فضحك وقال : صدَق ، عودوا فيه فإني اشتقت الى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني ؛ فعدنا فيه يومَنا كلّه حتى انصرفنا

---

[1] الدكان هنا المصطبة .

رجع عن توبته

كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زيّه واحتجر[1] من حضور دار السلطان فبلغه أنّ المأمون وجد عليه من ذلك وتنكّر ، فكتب إسحاقُ إليه وغنّى فيه بعد ذلك

يابنَ عمِّ النبي ! سمعاً وطاعه ،
قد خلعنا الرِّداءَ والدُّرّاعه[2]

ورجعنا الى الصِّناعة ، لمّا
كان سخطَ الإمام تركُ الصِّناعه

وقد ذكر الغلابيّ أن هذا الشعر لأبي العتاهيه ، قاله لمّا حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر وذكر حبش أن هذا اللحن لابراهيم

تعصبه للقدماء

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال

قال لي محمد بن الحسن بن مُصعَب ، وكان بصيراً بالغناء والنَّغَم: لحنُ إسحاق في «تَشَكّى الكُمَيتُ الجريَ» أحسنُ من لحن ابن

---

١ احتجر امتنع
٢ الدراعة : جبة مشقوقة المقدم ولا تكون الا من صوف .

سُريج ، ولحنُه في «يوم تُبْدي لنا قُتَيْلة» أحسنُ من لحن معبد ، وذلك من أجود صنعة معبد

قال فأخبرتُ إسحاق بقوله ، فقال قد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وزَعْزعتُهما[1] وأنَخْتُ بهما فما بلغتُهما

فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن ، فقال هو والله يعلم أنه بَرّز عليهما ، ولكنه لا يدع تعصُّبه للقدماء

وأخبرني جَحْظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق

أنّ رجلاً سأل أباه فقال له إنّ الناس قد كثّروا في صوتك «تشكّى الكُمَيت الجريَ» و«يوم تُبدي لنا قُتَيْلة» ، وقالوا إنهما أجود من لحني ابن سُريج ومَعْبد

قال أبي وَيحَك ! رُميت في هذين الصوتين بمعبد وابن سُريج وهُمَا هُمَا ، فقرُبَ ووقع القياسُ بيني وبينهما ، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وانتصفتُ منهما

صنعته وغناؤه

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن ذكر إسحاق الموصلي فقال

---

١ زعزعهما ساقهما سوقاً عنيفاً

كانت صنعته محكمةَ الأصول، ونغمه عجيبةَ الترتيب، وقسمته معدّلةَ الأوزان، وكان يتصرّف في جميع بُسط الإيقاعات فأيّ بساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك البساط لحُذّاق القدماء فعارضه وقد كان يذهب مذهبَ الأوائل، ويسلُك سبيلَهم، ويقتحم طُرُقَهم؛ فيَبْني على الرّسم فيصنعه، ويحتذي على المثال فيَحكيه، فتأتي صنعته قوية وثيقة يجمع فيها حالتين القوةَ في الطّبع وسهولةَ المسلك، وخُنْثاً بين كثرة النّغَم وترتيبها في الصّياح والإسجاح[1]؛ فهي بصنعة الأوائل أشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات؛ فأما المتأخرون فأحسنُ أحوالهم أن يَروُوها فيردّوها

وكان حسنَ الطبع في صنعته، حسن التلطّف، لتنزيله[2] من الصّياح الى الاسجاح على ترتيب بنغم يشاكله، حتى تعتدلَ وتتزن أعجازُ الشعر في القسمة بصدوره

وكذلك أصواته كلُّها، وأكثرها يبتدىء الصوت فيصيح فيه، وذلك مذهبه في جُلّ غنائه؛ حتى كان كثير من المغنّين يلقّبونه المسموعَ؛ لأنه يبدأ بالصّياح في أحسن نغمة فتح بها أحدٌ فاه، ثم يردّ نغمتَه فيرجّحها ترجيحاً وينزّلها تنزيلاً حتى يَحُطّها من تلك الشدّة الى

---

١ الاسجاح السجع، ترديد النغمات.

٢ لتنزيله هكذا في الاصل ولعل الصواب لتنزله، اي لنزوله متمهلا

ما يوازيها من اللين ، ثم يَعُود فيفعل مثل ذلك ، فيخرج من شدَّة الى لين ومن لين الى شدَّة ؛ وهـذا أشد ما يأتي في الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصَّنعة

قال يحيى بن علي بن يحيى ، وقد ذكر إسحاقَ في صدر كتابه الذي ألَّف في أخباره «وكان إسحاق أعلمَ أهلِ زمانه بالغنـاء ، وأنفذَهم في جميع فنونـه ، وأضربَهم بالعود وبأكثر آلات الغناء وأجودَهم صنعةً ، وقد تشبَّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارَض ابن سُريج ومعبداً فانتصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهدي ينازعه في هذه الصناعة ولم يَبلُغه فيها ، ولم يكن بعدَ إسحاقَ مثلُه »

يشبه صوتاً له

قال إسحاق وذكر صوته

كان افتتـاحَ بلائِي النَّظر ،
فالحَيْنُ سبَّب ذاكَ والقَـدَرُ

قد كان بابُ الصَّبر مُفتَتَحاً ،
فاليومَ أغلَـقَ بابَـهُ النَّظرُ

قال إسحاق ما شبَّهتُ صوتي هذا إلاّ بإنسان أخذ الكُرَةَ على الطَّبطابة[1] وأهلُ الميدان جميعاً خلفَه ، فلمّا بلغ أقصى ضربِـها أحجزها[2]

---

[1] الطبطابة خشبة عريضة يلعب بها بالكرة

[2] احجزها جعلها محجوزة عنهم

هو وابن معاذ والامين

أخبرني الحسن بن عليّ عن إسحاق قال

صنعت هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ ؛ فلمّا كان في أيام محمد غنّيته فاشتهاه واشتهر به ، وبعث الى يحيى بن معاذ وأنا أغنّيه

اسقني وابنَ نَهِيكٍ ،
وابنَ يحيى بنِ مُعاذِ

فلمّا حضر يحيى غنّيت



فاسقِني نَهِيكاً ،
واسقِ يحيى بنَ مُعاذِ

فبعث إليه محمد فأحضره فقال لتشربنّ أو لأعاقبنّك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً ، وغلّفه[1] وأمر له بمال ، وسُرّ بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً ، وانصرفت الى البيت ؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصرتُ إليه فلم يزل يستحلفني ألاّ أعودَ في هذا الصوت قُدّامَ محمد أبداً ، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله ، ولم أعُدْ فيه

---

١ غلفه : طيبه بالطيب

نسبة هذا الصوت

يومُنــــا يومُ رذاذٍ ،
واصطبـاحٍ والتـذاذٍ[1]

فاسقِني وابنَ نَهِيـكٍ ،
وابنَ يحيى بن مُعـاذِ

من كُمَيتٍ عُتِّقتْ للشيخِ
كسرى بن قُبــاذٍ[2]

ليس للمرء ، من الهمّ ،
سواها من مَــلاذِ

الشعر لعليّ بن هِشام

كنتُ[3] عند عليّ بن هشام يوماً إذ رَشّت السماء رشّاً وطَشّت[4] ؛ فأنشأ عليّ يقول

يومُنــــا يوم رذاذٍ ،
واصطبـاحٍ والتـذاذ

---

١ الرذاذ المطر الخفيف .
٢ الكميت : الخمر التي فيها سواد وحمرة .
٣ الحديث لأبي عبد الله الهلالي
٤ طشت امطرت مطراً ضعيفاً

وذكر الأبيات الأربعة ، ثم قال لغلامه اذهب الى أحمد بن يحيى ابن معاذ وقل له يقول لك أخوك هذا يوم طيّب ، فتعالَ أنت وغلاماك بُنان وعثعث

فجاء الى بابه الرسولُ وعليه غُرَماءُ له ، فمنعوه الدخولَ عليه ؛ فقال لهم كم لكم عليه ؟

قالوا مائتا ألف درهم

فرجع الغلام الى عليّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدّين .

فقال له احملْ إليه مائتي ألفِ درهم وجيءْ به وبغلاميه الساعة .

فحملها ؛ فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه ، فقال لعليّ بن هشام لِم تَحَمّلت[1] هذا لي ! أنا والله منتظر مالاً يجيء فأعطيهم

فقال له مالي ومالُك واحد

فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحَلواء ؛ فقال أكثِر من الحلواء فلستَ تدخل معنا في ديواننا يعني الشُّرْبَ

فأكلتُ وغسلت يديّ ؛ فقال لغلامه سِراج احمِلْ مع أبي عبد الله الهلاليّ ثلاثين ألف درهم

فانصرفتُ وهي معي

---

١ يريد لماذا حملت هذا المال ودفعته عني

ذكرى الصبا

تعشّقتُ[١] جاريةً فقلت فيها

هل الى أن تنام عيني سبيلُ ؟
إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ !

غاب عني مَنْ لا أُسمي ، فعَيْني ،
كلَّ يوم ، عليه حُزناً تَسيلُ

قال إسحاق ثم ملكتُها ، فكنت مشغوفاً بها ، حتى كَبِرتُ واعتلَّتْ عليَّ عيناي ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامَه المتقدمة ، فما زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولى

حكم على لحن له

دعا المأمونُ بإسحاق فأحضِرَه ، فأمره أن يُغنّي في هذا الصوت

هل إلى أن تَنامَ عيني سبيلُ

فغنّاه ؛ وكنتُ حاضراً فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، وما عدا بلحنه معنى شعره

---

١ الحديث لاسحاق

فقال المأمون فإنّا نَرُد الحُكمَ الى مَنْ هو أعلم بذلك منك

فبعث الى أبي ، يعني يحيى المكيّ ، فجيء به ، فخبره بما قلتُ وما قال ، وأمر إسحاقَ بردّ الصوت فردّه ؛ فقال يحيى أحسنَ إسحاقُ في غنائه وأحسن ابني في استحسانه ، إلاّ أنّ هذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غير حَلْق إسحاق

فضحِك المأمون ، وأمر لاسحاق بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله

قال ولم يكن في إسحاق شيء يُعاب إلاّ حَلْقُه ، وكان يغلب الناسَ جميعاً بطبعه وحِذْقه

سبب ضعف بصره

وأما السبب في علّة عين إسحاق وضعفِ بصره فإنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة الوَصِيف نازَع إسحاقَ في شيء بين يدَي الرشيد من الغناء ، فردّ عليه ، فشتمه ، فردّ عليه إسحاق وأرْبى في الردّ ؛ فقال له إبراهيم أتردّ عليّ وأنا مولى أمير المؤمنين !

فقال له اسكُتْ فإنك من مَوالي العِيدَينِ

فقال له الرشيد وأيُّ شيء موالي العيدينِ ؟

قال يا أمير المؤمنين ، يُشتَرى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ في العبيد للعتق ؛ فيكون فيهم الحَجّامُ والحائك والسائس ؛ فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت

قال وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه ، فلمّا جاز عليه مصرفاً ضرب رأسه بمِقْرَعةٍ فيها معوَلٌ ؛ فكان ذلك سببَ ضعف بصر إسحاق

وبلغ الرشيدَ الخبرُ ، فأمر بأن يُحجَبَ عنه إبراهيمُ ، وحلف ألاّ يدخلَ عليه ؛ فدَسَّ الى الرشيدِ من غنّاه

منْ لعبدٍ أذلّه مولاهُ،
ما له شافعٌ إليه سواهُ

يشتكي ما به إليه ، ويخشاهُ
ويرجوه مثلَ ما يخشاه

الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم ابن أخي سَلَمة الوصيف

فلمّا غُنّي الرشيدُ بهذه الأبيات سأل عن صاحب لحنها فعُرّفَه ، فحلف ألاّ يرضى عنه حتى يرضى إسحاقُ ؛ فقام إسحاق فقال قد رَضيتُ عنه يا سيّدي رضاءً حسناً ؛ وقبّلَ الأرضَ بين يديه شكراً لما كان من قوله

فرضي عنه وأُحْضِر وأمره بترضّي إسحاقَ ففعل

اسحاق وابن اخي سلمة

جاء[1] إبراهيم ابن أخي سَلَمة الى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ،

---

[1] الحديث لاسحاق

إني أحب أن تشرّفني بأن تكون نَوبتي ونوبـةُ إسحاق الموصلي في مكان ، وأن يكون دخولي إليـك ودخوله في مكان ، فإن رأيت أن تجعل ذلك كما سألتُ فعلتَ

قال قد فعلتُ

ولم أكن حاضراً لمسألته فلمّا كان يومُ دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقّاً عنيفاً وعرّفني الغلامُ خبرَه فقلت له يدخل فأبى وقال له قل له اخرج أنت

فساء ظني واغتممتُ ، فخرجتُ اليه فقلت له ما الخبر ؟

قال إنّ أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخـل الدار إلاّ معي بعد أن أوجّه إليك إلي وتمضي معي

فمضيت معه على رغمي وأنا مستكبر ، وكنت بقيّةَ يومي على تلك الحال ثم ركبت الى الفضل بن الرّبيع فشكوتُ ذلك إليه ، فقال ما أرى أميرَ المؤمنين يُحِلُّكَ هذا المحلّ ، قم بنا إليه

فقمت معه ، فدخل الى الرشد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاقُ وخدمتُه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهديّ تضع مقدارَه أن تجعله مضموماً الى إبراهيم ابن أخي سلَمة !

قال لا والله ما فعلتُ هذا

قال إنـه قد جاءني يبكي ويحلف إن جرى عليه هـذا تاب من الغناء وتركَه جملةً ، ثم لو قُتل لم يَعُدْ اليه

فقال ويحك ! والله ما جرى من هذا شيء ، إلاّ أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة جاء فقال تشرّفني ان تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ، ففعلت ، فقال له: يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامةَ

فاخبرني فرجعت فلمّا كانت نوبتي جاء إبراهيم إليّ ففعل مثلَ فعله ، فقلت لغلامي اخرج اليه فقل له ولا كرامةَ لك لا أجيء معك ولا أدَعُك تجيء معي أيضاً ، وشتَمته أقبحَ شتم

فخرج الغلام فأدّى اليه الرسالة ، فعلم أن هذا لم يتجرأ عليه إلاّ بعد توثّق فخجل ، فقال له قل له ومَنْ أكرهك على هذا ! إنما أحببتُ أن نصطحب ونتآنس في طريقنا ، فإن كَرِهتَ هذا فلا تفعلْه ، وانصرفَ ولم يعاودْني بعدها

يأخذ بلحيته ويبكي

كان إسحاق اذا غنّى هذا الصوتَ يأخذ بلِحْيته ويبكي

اذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضّ رأسُهُ ،
وثُلّم تثليمَ الإناء جوانبُه[١]

فلَلموتُ خيرٌ من حياةٍ خسيسةٍ
تُباعده طوراً ، وطوراً تُقاربُه

الشعر لزَبّان بن سَيّار الفَزاريّ

---

١ ثلم الاناء كسرت جوانبه

المأمون والغناء

أقام[1] المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني، فكان أوّلَ من تغنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واظب على السماع متستّراً متشبهاً في أوّل أمره بالرشيد ، فأقام كذلك أربعَ حِجَج ، ثم ظهر الى النّدماء والمغنّين وكان حانَ أحبَّ السماعَ سأل عنّي ، فجُرِحتُ[2] بحضرته ، وقال الطاعن علي ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة ؟

قال المأمون ما أبقى هذا من التيه شيئاً إلاّ استعمله

فأمسك عن ذكري ، وجفاني من كان يصلني ، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ ؛ فأضرّ ذلك بي ؛ حتى جاءني علّويه يوماً فقال لي : أتأذن لي في ذكرك ؟ فإنّا قد دُعينا اليوم

فقلت لا ! ولكن غنّه بهذا الشعر ، فإنه سيبعثه على أن يسألك لمن هذا ؟ فإذا سألك انفتح لك ما تريد ، وكان الجوابُ أسهل عليك من الابتداء

فقال هات ؛ فألقيتُ عليه لحني في شعري

يا سَرحةَ الماءِ قد سُدّتْ مواردُه ،
أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ[3]

---

١ الحديث لاسحاق

٢ جرحت من جرحه سبه وشتمه

٣ سرحة الماء : كنى بها هنا عن المراة .

لحائمٍ حام ، حتى لا حِيامَ له ،
مُحـلأ عن طريق المـاء مطرود[1]

قال فمضى عَلـّويه ، فلمّا استقرّ به المجلس ، غنّاه بالشعر الذي أمرتُه ؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال ويحك يا علّويه ! لمن هذا ؟

قال يا سيّدي ، لعبـد من عبيدك جفوتـَه واطّرحتـه من غير جرم

فقال أإسحاق تَعْنِيي ؟

قال نعم

قال يحضر الساعة

فجاءني رسوله فصرت إليه . فلمّا دخلتُ عليه قال ادنُ ؛ فدنوت ، فرفع يديه مادّهما ، فانكببتُ عليـه ، واحتضنني بيديه ، وأظهر من برِّي وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لسَرَّه

غناء يخالط الروح

غنّيت[2] المعتضدَ يوماً وهو أميرٌ صوتَ إسحاق

---

[1] الحائم العطشان حام حول الشيء دار حوله . المحلأ المطرود عن الماء .
[2] الحديث لأحمد بن ابي العلاء .

يا سرحةَ الماء قد سُدّتْ موارِدُه ،
أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

فطرب واستعاده مراراً ، وقال هذا والله الغناء الذي يُخالط الرُّوحَ ويُمازجُ اللحمَ والدم

يتهادون صوته

لمّا غنّى إسحاقُ في شعره هذا

لأسماءَ رَسْمٌ عفا باللِّوى
أقام رَهيناً لطول البِلى

تعاورَه الدهرُ في صَرفِه
بكَرِّ الجديدَينِ حتى عفا

فكان الناس يتهادَوْنه كما يتهادَوْن الطُّرفة والباكورة

وقال أبو العُبَيْس: حدّثني ابن مُخارق أنّ الواثق بعث الى أبيه مُخارق لمّا صنع إسحاقُ هذا الصوتَ ليُلقيَه عليه ، فصادفه عليلاً ، ولم يكن أحد يَلْقَنُ عن إسحاق طَرْحَ الغناء كما يَلْقَنُه مُخارق ، فأعاد إليه الرسولَ ومعه محَفّة ، وقال لا بدّ أن يجيء على كلّ حال .

فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع

الفارس الموصلي

وذكر محمد بن الحسين الكاتب

أنّ إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفُروسيّة ويحبّ أن يُنسَبَ إليهما ، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول. وكان قد شهد بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكَصَ على عقِبَيْه ؛ فقال أخوه طَيّاب فيه

وأنتَ تكلّفتَ ما لا تُطيق ،
وقلتَ أنا الفارسُ المَوصِلي

فلمّا أصابتك نُشّابةٌ
رجعتَ الى ... ك الأوّل[1]

اسحاق وحمزة الزيات

أخبرنا يحيى بن عليّ عن إسحاق قال

قال حمزة الزيّات القارىء يا موصليّ ، إنّ لي فيك رأياً ، أفترضى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مَطعَم على مَطعَم !

---

١ لعله أراد بسنك حالك ، او انه محرف عن شأنك

شعر فيه

أنْ تَغنّيتَ للشَّربِ الكرامِ « ألا
ردّ الخليطُ جِمالَ الحيّ فانفرقوا »

وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك الى
ما قلتَ ويحك! لا يذهبْ بك الخَرَقُ[1]

وقيل انت مُحسّان النّاسِ كلّهم ،
وابنُ المُحسّانِ ، فقد قالوا وقد صدَقوا

فما بهذا تقوم النادباتُ ، ولا
يُثْنَى عليك ، إذا ما ضمّك الخِرَقُ[2]

قال يحيى بن عليّ إنّ هذه الأبيات تُرْوَى لابن المُنْذِرِ العَزُوضيّ وللأصمعيّ

يهجو الاصمعي ويسقطه

قال مؤلف هذا الكتاب كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلَبه وكشَف للرشيد

---

١ الخرق ، بفتح الخاء : الحمق وضعف الرأي

٢ الخرق ، بكسر الخاء : واحدتها خرقة ، القطعة من الثوب ، وأراد بها هنا الكفن .

معايبَه ، وأخبره بقلّة شكره وبُخْله وضعة نفسه وأنّ الصّنيعةَ لا تَزكُو عنده ، ووصف له أبا عُبَيدة مَعْمَر بنَ المُثَنّى بالثقة والصدق والسماحة والعلم ؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضْل بن الرَّبيع واستعان بـه ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبةَ الأصمعيّ وأسقطه عندهم ، وأنفذوا الى ابي عُبَيدة مَنْ أقدمه

أنشدت[1] الفضلَ بن الرَّبيع أبياتاً كان الأصمعيّ أنشدنيها في صفة فرس

كأنه في الجُلّ ، وهو سامي ،
مُشتمِلٌ جاء من الحَمّام[2]

يَسور ، بين السَّرْج واللّجامِ ،
سَوْرَ القَطاميّ الى اليَمامِ[3]

قال ودخل الأصمعيّ فسمعني أنشدها ، فقال هاتِ بقيّتها

فقلت له ألم تقل إنه لم يبقَ منها شيء؟

فقال ما بقي منها إلاّ عيونها

ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها ، فغاظني فعله ؛ فلمّا خرج عرّفت الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لعارفة[4] وبخلَه بما عنده ؛

---

١ الحديث لاسحاق .

٢ الجل للدابة : كالثوب للانسان تصان به . المشتمل المتلفف بثوبه .

٣ يسور : يثب ويثور . القطامي : الصقر

٤ العارفة : المعروف .

ووصفتُ له فضلَ أبي عُبَيْدة مَعْمر بن المُثنّى وعلمَه ونزاهتَه وبذلَه لما عنده واشتمالَه على جميع علوم العرب ، ورَغّبتُه فيه ، حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً واستقدمه ؛ فكنت سببَ مجيئه به من البصرة

الاصمعي القرد

أخبرني عمّي عن إسحاق قال

جاء عطاءُ المُلْك بجماعة من أهل البَصْرة الى قُرَيْب أبي الأصمعي، وكان نَذْلاً من الرجال ، فوجده ملتفّاً في كِسائه نائماً في الشمس ، فركَضَه[1] برجله وصاح بـه يا قُرَيْب ، قم ويلك ! فقال له هل لقيتَ أحداً من أهل العلم قطّ من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدّثين ؟

قال لا والله

قال ولا سمعتَ شيئاً تَرويه لنا أو تُنشدناه أو نكتبه عنك ؟

قال لا والله

فقال لمن حضر هذا أبو الأصمعي ، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه ، لا يَقُلْ لكم غداً أو بعده حدّثني أبي أو أنشدني أبي ؛ ففضَحه

---

١ ركضه : لبطه

قال الفضل[1] ثم مرض الأصمعيّ، وكانت الحال بينه وبين إسحاق الموصلي انفرجتْ ؛ فعاده أبو ربيعة ، وكان يرغب في الأدب ويَبَرّ أهلَه ؛ فقال له الأصمعيّ أقرضْني خمسة آلاف درهم

فقال أفعل ؛ فقال له أبو ربيعة فأيّ شيء تشتهي سوى هذا ؟

فقال أشتهي أن تُهدِي الي فصّاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبُرداً حسناً وسرجاً مُحَلًّى

فقال أفعل ؛ وبعث بذلك اليه لمّا عاد الى منزله . وبلغ ذلك إسحاقَ فقال

أليس من العجائب أنّ قِرْداً
أُصَيْمِعَ ، باهِليّاً ، يستطيلُ

ويزعُم أنه قد كان يُفتي
أبا عمرٍو ، ويسأله الخليلُ[2]

إذا ما قال قال أبي عجبنا
لِما يأتي به ، ولِما يقولُ

وما إنْ كان يَدري ما دَبِيرٌ
أبوه ، إن سألتَ ، وما قَبِيلُ[3]

---

١ هو الفضل اليزيدي

٢ ابو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة والأدب . الخليل : هو الخليل بن احمد اللغوي النحوي الذي وضع علم العروض

٣ لا يعرف دبيره من قبيله لا يعرف ما خلفه وما امامه .

وجلّله عطاءُ المُلْكِ عاراً ،
تزول الراسياتُ ولا يزول

نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهْدي ،
وبعض النُّصح أحياناً ثقيلُ

فقل لأبي ربيعةَ ، إذ عصاني ،
وجارَ به عن القصد السبيلُ

لقد ضاعتْ برودُك فاحتسبها ،
وضاع الفَصُّ والسيفُ الصقيلُ[1]

وسرجٌ كان للبردَون زَيْناً ،
له في إثْره ، جزعاً ، صهيلُ

وأمّا الخمسةُ الآلافِ ، فاعلمْ
بأنّكَ غَبْنَها لا تستقيلُ[2]

وأنّ قضاءها ، فتعَزَّ عنها ،
سيأتي دونه زمنٌ طويلُ

---

١ احتسبها : عدها اجراً عند الله
٢ الغبن الخسارة

وصيفة الواثق

كنتُ[1] جالساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد ، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأنها خوطُ بانٍ ، أحسنُ مَنْ رأتْه عيني قطّ ، تَقْدُمُ عدّةَ وصائفَ بأيديهن المذابُ[2] والمناديل ونحوُ ذلك ، فنظرتُ اليها نَظَرَ دَهِشٍ وهو يرمُقُني فلمّا تبيّن إلحاحَ نظري قال ما لكَ يا أبا محمد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ فيك ! فتلجلجتُ

فقال لي رمتْك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبك !

فقلت غيرُ مَلوم

فضحك ثم قال أنشدني في هذا المعنى ؛ فأنشدتُه قول المَرّار[3]:

أَلِكْني إليها ، عمرَكَ اللهَ يا فتى !
بآيةِ ما قالت متى هو رائحُ[4]

وآيةِ ما قالت لهنّ عَشيّةً ،
وفي السّتر حرّاتُ الوجوه مَلائحُ

---

١ الحديث لاسحاق

٢ المذاب جمع مذبة وهي ما يذب به كالمروحة .

٣ هو المرار بن سعيد الفقعسي

٤ الكني اليها تحمل اليها رسالتي وبلغها عني . الآية : العلامة .

تَخَيَّرْنَ أرماكُنَّ ، فارمينَ رميةً
أنفا أسدٍ ، إذ طرّحتْه الطوارحُ[1]

فلَبِّسْنَ مِسْلاسَ الوشاح كأنها
مَهاةٌ لها طِفلٌ بِرُمّانَ راشحُ[2]

فقال له الواثق : أحسنتَ بحياتي وظَرُفتَ ، اصنع فيها لحناً ؛ فإن جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفةُ لك

فصنعتُ فيها لحناً وغنّيته إيّاه ، فاصطبح عليه وشرب بقيّة يومه وليلته حتى سكِر ولم يقترح عليّ غيرَه ، وانصرفت بالجارية

الواثق خاثر النفس

حدّثني عمّي عن إسحاق قال

دخلت على الواثق يوماً وهو خاثر النفْس[3] ، فأخذتُ عوداً من الخزانة ووقفتُ بين يديه فغنّيته

من الظباءِ ظباءٌ همُّها السُّخُبُ ،
ترعَى القلوبَ ، وفي قلبي لها عُشُبُ

---

١ طرحته الطوارح : رمته وقذفته القاذفات ، الحوادث
٢ مسلاس الوشاح : لينته كناية عن ضمور خصرها . رمان تمر بنواحي واسط . الراشح : الصغير اذا قوي ومشى مع امه وسعى خلفها
٣ خاثر النفس : ثقيلها غير طيب ولا نشيط

أهوى الظباءَ ، اللواتي لا قُرون لها ،
وحليُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ

لا يَفْتَرِشْنَ ، ولا يسكُنَّ باديةً ،
وليس يَعْرِفن ما صَرٌّ ولا حَلَبُ

وفي الذين غَدَوْا ، نفسي الفداءُ لهم ،
شمسٌ تبرقَعُ أحياناً وتَنتقِبُ

يا حُسن ما سَرقتْ عيني ، وما انتهبت ؛
والعينُ تسرق أحياناً وتنتهبُ

إذا يدٌ سَرَقَتْ ، فالقطعُ يلزمها ؛
والقطعُ في سَرَقِ العينين لا يجبُ

قال فهَشَّ إليَّ ونشِط ودعا بطعام خفيف وأكلنا واصطبح وأمر لي بمائة ألف درهم

الموصلي والمأمون

كان إسحاق الموصلي يدخل في مُبَطَّنة وطَيْلَسان مثل زِيّ الفقهاء على المأمون ؛ فسأله أن يأذَن له في دخول المقصورة يوم الجمعة بدُرّاعة سوداءَ وطَيْلَسان أسود؛ فتبسّم المأمون وقال له ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق ، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتمّ ؛ وأمر بحملها اليه فحُملت

يفضله ويعظمه

حدّثني جعفر بن قُدامة عن أبي خالد الأسلَميّ

أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضّله ويعظّم شأنه ويقدّمه في الشعر تقديماً مُفرِطاً، فقال ما قولكم في رجل محدَث تَشَبَّه بذي الرُّمّة وقال على لسانه شعراً وغنّى فيه ونَسَبَه اليه، فلم يشكُكْ أحدٌ سمعه أنه له ولا فَطِنَ لما فعل أحد إلا مَنْ حَصَّل شعر ذي الرُّمّة كله ورواه.

فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال

ومَدْرَجةٍ للريحِ تيهاءَ لم تكن
لِيَجشَمَها زُمَّيْلَةٌ غيرُ حازمِ[1]

يضِلّ بها الساري وإن كان هادياً،
وتَقطعُ أنفاسَ الرياحِ النواسمِ

تَعَسَّفتُ أفْري جَوزَها بشِمِلَّةٍ،
بعيدةِ ما بين القَرا والمَناسمِ[2]

كأنّ شِرارَ المَرو، من نَبْذِها به،
نجومٌ هَوَتْ، أخرى الليالي العواتمِ[3]

---

١ المدرجة : الطريق التيهاء : المفازة التي لا يهتدى فيها الزميلة الضعيف الجبان
٢ جوزها وسطها ومعظمها الشملة : الناقة السريعة . القرا : الظهر المناسم الأخفاف
٣ المرو حجارة بيض رقاق براقة نبذها به : قذفها له بمناسمها

الفراغ والشباب والجدة

حدّثني عمّي عن إسحاق قال

غنّيتُ المأمون يوماً هذين البيتين

لأحسنُ من قَرْعِ المثاني ورجعِها ،
تَواتُر صوتِ الثغر يُقرَعُ بالثغرِ

وسكرُ الهوى أروى لعظمِي ومَفصِلِي ،
من الشُّرب في الكاسات من عاتق الخمرِ

فقال لي المأمون ألا أخبرك بأطيبَ من ذلك وأحسن ؟ الفراغُ والشَّباب والجِدَة

يعتق غلامه

كان لاسحاق غلام يقال له فَتْح ، يستقي الماءَ لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً ؛ فقال إسحاق قلت له يوماً أيُّ شيء خبرُك يا فتح ؟

قال خبري أنه ليس في هذه الدار أحدٌ أشقى منّي ومنك

قلت وكيف ذلك ؟

قال أنت تُطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء

فاستظرفتُ قوله وضحكتُ منه ثم قلت له فأيُّ شيء تحبُّ ؟

قال تُعتقني وتَهب لي البغلين أستقي عليهما

فقلت له قد فعلت

جنون ابي البصير

كان[1] لأبي البصير الشاعر قِيانٌ، وكان يتكلم في الغناء بغير علمٍ ولا صواب فيُضْحَك منه ، فقال أبي فيه

سكتُّ عن الغناء فما أماري
بصيراً ، لا ولا غيرَ البصيرِ

مخافةَ أن أُجنَّنَ فيه نفسي ،
كما قد جُنَّ فيه أبو البصير

الرشيد ينهاه

نهاني[2] الرشيدُ ان أغنّي أحداً غيره ، ثم استوهبني جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذن لي في أن أُغنّيه ففعل، واتّفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل، والرشيدُ يومئذ بعَقِب علّة قد عُوفِي منها وليس يشرَب ؛ فقال لي الفضل انصرف إليّ الليلة حتى أهَبَ لك مائة ألف درهم

فقلت له : إنّ الرشيد قد نهاني ألا أغنّي إلاّ له أو لأخيك، وليس

---

١ الحديث لحماد بن اسحاق

٢ الحديث لاسحاق

يخفى عليه خبري ، وأنا متّهم عنده بالميل إليكم ، ولست أتعرّض له ولا أعرّضاك ؛ ولم أجبْه

فلمّا نَكَبَهم الرشد قال: إيهٍ يا إسحاق، تركتني بالرّقّة وجلستَ ببغداد تغنّي للفضل بن يحيى !

فحلفتُ بحياته أني ما جالستُه قطّ إلاّ على المذاكرة والحديث ، وأنه ما سمعني قطّ أغني إلاّ عند اخيه جعفر ، وحلفت بتربة المهديّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَن في الدار من نسائه

فسأل عنه فحدّثْنَه بمثل ما ذكرتُه له ، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتُها عليه. فلما دخلت عليه ضحك إليّ ثم قال قد سألتُ عن أمرك فعرفتُ منه مثل ما عرّفتني ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل

المرسلات عرفاً

حدّثني الصّولي عن إسحاق أنه كان يقول الإسناد قيدُ الحديث ؛ فتحدّث مرّةً بحديث لا إسنادَ له ، فسئل عن إسناده ، فقال هذا من المُرسَلات عُرْفاً

شعر في البرامكة

حدّثني الصّوليّ عن إسحاق قال

أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ ابي الحَجْناء نُصَيْبٍ مولى المهديّ فيهم

عند الملوكِ مَضَرّةٌ ومنافعُ،
وأرى البرامكَ لا تَضُرُّ، وتنفعُ

إنْ كان شرٌّ كان غيرهم له؛
أو كان خيرٌ، فهو فيهم أجمعُ

إنّ العروقَ، إذا استسرَّ بها الثرى،
أَشِرَ النباتُ بها، وطابَ المزرَعُ[1]

فإذا جَهِلتَ من امرىءٍ أعراقَه
وقديمَه، فانظر الى ما يصنع

قال فقال كأنا والله لم نسمع هذا الشعر قطّ، قد كنا وصلناه بثلاثين الف درهم، وإذاً نُجَدِّد له الساعة صِلةً له ولك معه لحفظك الأبيات

فوصلنا بثلاثين ألف درهم

يسترضي المأمون بشعر

وأخبرني الصُّولي قال: حدّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجمّاز قال:

---

١ استسر: خفي أشر النبات: مرح وطال.

عتَب المأمونُ على إسحاق في شيء ؛ فكتب اليه رقعةً وأوصلها اليه من يده ؛ ففتحها المأمون فاذا فيها قوله

لا شيءَ أعظمُ من جُرمي، سوى أملي
لحسن عفوك عن ذنبي وعن زَلَلي

فإن يكن ذا وذا في القَدر قد عظُما،
فأنتَ أعظم من جُرمي ومن أملي

فضحكَ ثم قال يا إسحاقُ، عذرُك أعلى قدراً من جُرمك، وما جال بفكري، ولا أخطرتُه بعد انقضائه على ذكري.

صبوح عند الواثق

خرجنا[1] مع الواثق الى القاطول[2] للصيد، ومعنا جماعة الجلساء والمغنين وفيهم عمرو بن بانة وعلّويه ومُخارق وعقيد، وقدِم إسحاقُ في ذلك الوقت فأخرجه معه؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحاً، ثم أمر بالبُكور الى الصَّبوح فباكرنا واصطبَحْنا. فغنى عمرو ابن بانة لحن ابراهيم الموصلي:

---

١ الحديث ليزيد بن محمد المهلبي.

٢ القاطول: اسم نهر يأخذ من دجلة في الجانب الشرقي، حفره كسرى أنوشروان العادل. وهو أيضاً اسم نهر آخر حفره الرشيد في موضع سر من رأى قبل أن يعمرها المعتصم، وكان يأخذ كذلك من دجلة.

بلوتُ أُمورَ الناس طُرّاً ، فأصبحتْ
مُذمَّمةً عندي ، براءً من الحمدِ

وأَصبح عندي من وثقت بغَيبه
بغيضَ الأيادي ، كلُّ إحسانه نَكْدُ[1]

فغنّاه على ما أخذه من إبراهيمَ بن المهديّ وقد غيّره

فقال الواثق لاسحاق أتعرف هذا اللحن ؟

فقال نعم ، هذا لحنُ أبي ولكنه مما زعم إبراهيمُ بن المهديّ أنّه جَنْدَرهُ وأصلحه فأفسده ودمّرَ عليه[2]

فقال له غنّه أنت .

فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جداً ؛ فغم ذلك عمرو ابن بانة فقال لاسحاق:أفأنت مثل إبراهيمَ بن المهديّ حتى تقول هذا فيه !

قال لا والله ما أنا مثله ، أما على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه ، وليس هذا مما نحن فيه ؛ وأما الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ! ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلاً عن أن تغنّي ، ولا قمتَ بأداءِ غناءٍ فضلاً عن أن تميّز بين المحسنين ؛ وإلا فغنّ أيَّ صوت شئت مما أخذته عنه وعن غيره كائناً مَنْ كان ، فإن لم أُوضح لك ولمن حضر أنه لا يَسلم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفساد صنعةٍ فدمي به رهن

---

١ النكد : قلة العطاء . وفي البيت اقواء .

٢ يقال : دمر عليه اذا دخل بغير اذن وهجم هجوم الشر

فأساء عمرو الجوابَ وأغلظ في القول ؛ فأمضّه الواثق وشتَمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأقيم فلمّا كان من الغـد دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده

ومجلسٍ باكرتُـهُ بُكورا ،
والطيرُ ما فارقتِ الوُكُورا

والصبح لم يَستنطقِ العُصفورا
على غَـديرٍ لم يكن دُعثُورا[1]

لم ترَ عيني مثلَه غَـديرا ،
يجري حَبابُ مائه مَسْجُورا[2]

عـلى حَصًى تحسَبُه كافورا ،
تسمع للماءِ بـه خَريرا

يَنسجُ أعلى مَتْنِـه ، سطورا ،
نسيمُ ريحٍ ، قد وَنَتْ فُتُورا

حتى تخالَ متنَه حَصيرا ؛
والشَّربُ قد حفّوا به حُضورا

---

١ الدعثور الحوض المثلم

٢ المسجور المنظوم المسترسل .

وأمروا الساقيَ أن يُديرا
كأسَهمُ الأصغر والكبيرا

وأعملوا البَمَّ معاً والزّيرا ،
وجاوبت عيدانُهم زَميرا[1]

وقرّبوا المُغنّيَ النِّحْريرا ،
مُقدَّماً في حِذْقه ، مشهورا

فهم يطيرونَ به سرورا
ولا ترى في شُربهم تقصيرا .

ولا لِصَفْوِ عيشهم تكديرا ،
ولا تُخلِّف منهمُ نظيرا

إلاّ رُجَيْلاً منهمُ سِكّيرا ،
مُعَرْبِداً ، مُوَضِّحاً ، شِرّيرا

مُدَّعِياً للعلم ، مستعيرا ،
يروم سعياً كاذباً ، مغرورا

وأن يكون عالماً بصيرا ،
مُفَضَّلاً بعلمه ، مذكورا

[1] الزمير : الغناء بنفخ القصب .

غَمَزْتُـه ولم يكن صبورا ،
فعـاذ مني هارباً مـذعورا

بمَعْشَرٍ تحسَبُهُـمْ حَميرا
أشدّ منهم حُمُقاً كثيرا

لا ينطِقون الدهرَ إلا زورا ؛
حتى إذا كسّرتُه تكسيرا

كالليثِ لمّا ضَغَمَ الخِنزيرا ،
ولّى انهزاماً خاسئاً ، مدحورا[1]

معـترفاً بـذُلّه ، مقهـورا ؛
وكنتُ قبلها ضيغماً هَصورا

معتليـاً لقِرنـه ، عَقـورا ؛
ومـا أخـافُ الزمن العَثـورا

إذ كنتُ بالواثقِ مستجيرا ،
قـد عزّ مَن كان له نصـيرا

إمـامُ عـدلٍ دَبـّر الأمورا
برأيـه ، ولم يُرِدْ مُشيرا

---

١ ضغمه : عضه ملء فيه

ترى مــن الخَلقِ عليه نورا،
تَقبَّلَ المَهديَّ والمنصورا[1]

وجَدَّه الأدنى تُقى وخيرا؛
ورَّثه المعتصمُ التدبيرا

فأصبحَ الملكُ بـه مُنيرا،
وأصبح العـدلُ بـه منشورا

قد أمِنَ الناسُ به المحظورا؛
إذا عـلا المِنبر والسريرا

رأيتَ بدراً طالعاً منيرا،
بحراً، ترى الغنيَّ والفقيرا

يرجون منه نائلاً غزيرا؛
واللهِ لا زلتُ له شَكورا

لا جاحِدَ النُّعمى ولا كَفُورا؛
وكنتُ بالشكر له جديرا

أشعار في الفروسية

أنشدني[2] الأصمعيّ قولَ الأعشى

---

١ تقبل اشبه
٢ الحديث لاسحاق

إن تركبوا ، فركوبُ الخيلِ عادتُنا ؛
أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

ثم قلتُ له أيُّ شيء تحفظ في هذا المعنى ؟ وكان مع بخله بالعلم لا يبخل بمثل هذا ، فأنشدني لربيعة بنِ مقروم الضَّبّيّ

ولقد شَهِدتُ الخيلَ ، يوم طِرادِها ،
بسَليمِ أوظفَـةِ القوائمِ هَيْكَلِ[1]

فدعَوْا نَزالِ ، فكنت أوّلَ نازل ؛
وعلامَ أركبُه إذا لم أنزِلِ[2]

يعجبه غناء ملاحظ

اجتمعنا[3] يوماً إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصليّ وعندنا مَلاحظُ تُغنّينا ، وقد قامت الصلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال فيمَ كنتم ومن عندكم ؟

فأخبرناه بخبرها

---

١ شهدت الخيل اي شهدت فرسان الخيل الطراد حمل الفرسان بعضهم على بعض بسليم أي بفرس سليم الاوظفة ، واحدها وظيف ما فوق الحافر من الفرس الهيكل الضخم

٢ نزال انزل ، معدول من المنازلة ، المقاتلة

٣ الحديث لعبد الله بن الربيع

فقال : لا تُعرِّفوها من أنا فيُخرِجها التصنُّع لي والتحفّظ منّي عن طبعها ، ولكن دعوها وهواها حتى ننتفع بها

وخرجتْ وهي لا تعرفه وجلستْ كما كانت أولاً ، وابتدأت وغنّت ، والصنعة لفُلَيح بن أبي العَوْراء . هكذا أخبرنا إسحاق أنّ الغناء لفليح :

إني تعلّقتُ ظبياً شادناً خَرِقا ،
عُلِّقتُه شِقوةً منّي ، وما عَلِقَا

قال : فطرب إسحاق وشرب حتى والى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها ، فأخذ إسحاق دواة وكتب :

سأشرب ما دامت تغنّي مَلاحظُ ،
وإن كان لي في الشيب ، عن ذاك ، واعظُ

مَلاحظُ غنّينا بعيشك ، وليكن
عليك لِما استحفظتُه منك حافظُ

فأقسم ما غنّى غناءَك مُحْسِنٌ ،
مُجيدٌ ، ولم يَلفِظ كلَفْظك لافظُ

وفي بعض هذا القول منّي مَساءَةٌ ،
وغيظٌ شديدٌ للمغنّين غائظُ

الرشيد يزجره

قال لي[1] الرشيد يوماً بأي شيء يتحدّث الناس ؟

قلت يتحدّثون بأنك تَقْبِضُ على البرامكة وتُولّي الفضلَ بن الرّبيع الوزارة

فغضب وصاح بي وما أنت وذاك وَيْلَك !

فأمسكتُ فلمّا كان بعدَ أيامٍ دعا بنا ؛ فكان أول شيء غنّيته

إذا نحن صَدَقْناكَ ،
فضَرَّ عندك الصدقُ

طَلبنا النفع بالباطِلِ ،
إذ لم ينفعِ الحقُّ

فلو قُدّم صبٌّ ، في
هواه ، الصبرُ والرّفقُ

لقُدّمتُ على الناس ،
ولكنّ الهوى رزقُ

وقيل ان الشعر لأبي العتاهية

قال فضحك الرشيد وقال لي يا إسحاق ، قد صِرتَ حقوداً .

---

[1] الحديث لاسحاق

في مجلس المعتصم

ودخلتُ على المعتصم يوماً بسُرَّ مَنْ رأى ، فإذا الواثق بين يديه وعنده عَلّويه ومُخارقٌ ، فغنّاه مخارِق صوتاً فلم ينشَط له ، ثم غناه عَلّويه فأطربه فلما رأيتُ طربَه لغناء عَلّويه دون غنـاء مُخارِق اندفعتُ فغنّيته لحني

تَجَنّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بك الهوى ؛
وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لي بألف دينار ولعَلّويه بخمسمائة دينار، ولم يأمر لمخارق بشيء .



نسبة هذا الصوت

تَجَنّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بـك الهوى ؛
وهيهاتَ كان الحبُّ قبـل التجنُّبِ

ألاَ إنمـا غادرتِ ، يا أُمَّ مالـكٍ ،
صَدًى أينما تَذهَبْ به الريحُ يَذهَبِ

الشعر للمجنون

وغنّى ابنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر ، والبيتان المضافان

بَرى اللحمَ عن أحناءِ عظمي ومَنكبي،
هَوىً لسُلَيمى في الفؤاد المعذّبِ

وإني سعيدٌ أنْ رأتْ الكِ، مرّةً
من الدّهر، عيني منزلاً في بَني أبي

غناء بلحن اسحاق

غنّى علّويه بين يدَي الواثق يوماً

خليلٌ لي سأهجرُهُ
لذنبٍ لستُ أذكُرُه

ولكنّي سأرعاه،
وأكتمُهُ وأستُرُه

وأُظهِرُ أنني راضٍ،
وأسكُتُ لا أخبّرُه

لكي لا يعلَمَ الواشي
بما عندي، فأكسِرُه

الشعر والغناء لاسحاق

فطرب الواثقُ طرباً شديداً، واستحسن اللحن، وأمر لعلّويه بألف دينار؛ ثم قال أهذا اللحنُ لك

قال لا يا أمير المؤمنين ، هو هذا الهِزَبْرِ ، يعني إسحاق ، وكان إسحاقُ حاضراً ، فضحِك الواثق وقال : قد ظلمناه إذاً ؛ وأمر لاسحاق بثلاثين ألف درهم

يعارض ابن سريج

كان إسحاق عنـد الفتْح بن الحجّاج الكَرْخِيّ وعَلّويه حاضرٌ ، فغنّاه عَلّويه

عَلِقتُكِ ناشئاً ، حتى
رأيتِ الرأس مُبْيضّا

على يُسـ[illegible] وإعسارٍ
وفيضٍ [illegible] فيْضا

ألا أَحبب بأرص كنتِ
تحتَلّينَها ، أرضا

وأهلُكِ حبّذا ما هم ،
وإن أبدَوْا ليَ البُغضا

الشعر لابن أُذَيْنةَ ، والغناء لابن سُرَيْج

فغنّاه إيّاه في الثقيل، ثم غنّاه هزَجاً ؛ فقال له الفتحُ لمنِ الثقيل
فقال لابن سُرَيْج
قال فلِمَن الهزج ؟

قال: لهذا المزَبْرِ، يعني إسحاق.

فقال له الفتحُ: وَيْلَكَ يا إسحاق! أتُعارِضُ ثقيلَ ابن سُرَيْج بهزَجِكَ؟

قال: فقبض إسحاقُ على لحيته ثم قال: على ذلك فوالله ما فاتني إلا بتحريكه الذقَنَ

يصوب قول المعتصم

دخلتُ[1] يوماً على المعتصم وعندهُ إسحاق بن ابراهيم بن مصعب، واستدناني فدنوتُ منه، واستدناني فتوقّفتُ خوفاً من أن أكون مُوازياً في المجلس لاسحاق بن إبراهيم؛ ففَطِنَ المعتصمُ فقال: إنَّ إسحاق لكريمٌ، وإنك لم تستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه

ثم تحدّثنا وأفضت بنا المذاكرة الى قول أبي خِراش الهُذَليّ

حَمِدتُ إلهي، بعد عُروةَ، إذ نجا
خِراشٌ، وبعضُ الشرّ أهون من بعضِ

فأنشدها المعتصمُ الى آخرها، وأنشد فيها

ولم أدرِ مَنْ ألقى عليه رِداءَهُ،
سوى أنه قد حُطَّ عن ماجدٍ مَحْضِ[2]

---

١ الحديث لاسحاق.

٢ البيتان من قصيدة لابي خراش الهذلي يرثي بها اخاه عروة بن مرة ويذكر نجاة خراش ابنه

والروايةُ « قد بُزَّ عن ماجدٍ محض » ؛ فغلِطتُ وأسأتُ الأدب ، فقلت يا أمير المؤمنين ، هذه رواية الكتّاب وما أُخِذَ عن المعلّم ؛ والصحيح «بُزَّ عن ماجدٍ محص »

فقال لي نعم صدقتَ ؛ وغمزني بعينه ، يحذّرني من اسحاق وفطِنتُ لغلطي فأمسكتُ ، وعلمتُ أنه قد أشفق عليَّ من بادرة تبدر من إسحاق ؛ لانه كان لا يحتمل مثلَ هذا في الخلفاء من أحد حتى يُعظِمَ عقوبتَه ويُطيلَ حبسَه كائناً من كان ؛ فنبّهني ، رحمه الله ، على ذلك حتى أمسكتُ وتنبّهت

الهزج القديم

قال عمرو بن بانة

كنّا عند المأمون فقال ما أقل الهزج في الغناء القديم !

وقال إسحاق ما أكثره !

ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتاً في الهزَج القديم فقلت لأصحابي هذا الذي تزعمون أنه قليل الرواية !

اسحاق الماكر

أخبرنا يحيى عن إسحاق قال

قال لي العباس بن جرير قاتلك الله ! مذكَّر فِطنةٍ ، ومؤنَّث طبيعة ، ما أمكرك !

ينشد الأعراب شعره

حدّثنا يحيى بن علي عن إسحاق قال

أنشدتُ بعض الأعراب

أجَرَتْ سوابقُ دمعِكَ المُهْراقِ ،
لمّا جرى لك سانِحٌ بفراقِ ؟

إنّ الظعائِنَ ، يومَ ناصِفةِ اللّوى ،
هاجتْ عليكَ صبابةَ المُشتاقِ [1]

لم أنسَ ، إذ ألمَحْنَنا ، في رِقْبةٍ
منهنّ ، ببيضٍ ترائبٍ وتَراقِ [2]

وأشَرْن ، إذ ودّعننا ، بأناملٍ
حُمْرٍ كهُدّابِ الدِّمَقْسِ رِقاقِ [3]

وَرَمَتْكَ هندٌ ، يوم ذاك ، فأقصَدَتْ ،
بأغرّ عَذْبٍ باردٍ بَرّاقِ [4]

---

١ الناصفة مجرى الماء

٢ الترائب واحدتها تريبة عظام الصدر . التراقي ، واحدتها ترقوة مقدم الحلق في اعلى الصدر

٣ الهداب الخيوط التي تبقى في طرفي الثوب من عرضيه دون حاشيته. الدمقس : الحرير .
أقصدت أصابت ولم تخطىء

وتنفّست ، لمّا رأتك ، صبابةً ،
نَفَساً تصعّدَ في حَشًى خفّاق

ولقد حذِرتُ ، فما نجوت مُسلَّماً ،
حتى صُرِعتُ مَصارعَ العُشّاق

إنّ الخلافة أثبتتْ أوتادُها ،
لمّا تحمّلها أبو إسحاق

مَلِكٌ أغرُّ يلوح ، فوقَ جَبينِه ،
نورُ الخلافة ، ساطعَ الإشراق

كُسِيَ الجَلالَ مع الجمال ، وَزانَه
هَدْيُ التُّقى ومكارمُ الأخلاق

صَحّتْ عُروقُك في الجِياد ، وإنما
يجري الجوادُ بصحّة الأعراق

ذخَرَ الملوكُ ، فكان أكثرُ ذُخرِهم ،
للمُلك ، ما جمعوا من الأوراق[1]

وذخَرتَ أبناءَ الحروب ، كأنهم
أُسْدُ العَرينِ ، على مُتونِ عِتاق

---

١ الأوراق الدراهم

كم من كريمةِ مَعْشَرٍ ، قد أُنكِحتْ
بسيوفهم قَسْراً ، بغير صَداق

وعزيزةٍ في أهلِها وقَطِينِها ،
قد فارقتْ بَعلًا بغير طلاق[1]

قال فقال لي أفلَيْتَ والله يا أبا محمد

فقلت له وما أفليت ؟

قال رَعَيْتَ فلاةً لم يرعَها أحدٌ غيرك

المغنون يتلاشون أمامه

أخبرنا يحيى بن عليّ عن عافية بن شبيب قال

قلت لزُرزور بن سعيد حدّثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة ، وهو منقطعٌ ذاهب ، وحلوقُكم ليس مثلُها في الدنيا ؟

فقال كان والله لا يزال بحذقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أقلَّ من التراب

---

١ قطينها اماؤها وحشمها .

شعره في الشيب

دخلت[1] على الفضل بن الرَّبيع فقال لي يا إسحاق ، كثُر والله شيبُك !

فقلت أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثقيف

الشيبُ إن يَظْهَرْ ، فإنَّ وراءه
عُمراً يكون خِلالَه مُتَنَفَّسُ

لم يَنتَقِصْ منّي المشيبُ قُلامةً ،
ولَنَحْنُ حين بدا أَلَبُّ وأكيسُ[2]

قال هاتِ يا غلام دواةً وقرطاساً ، أكتبْهما لي لأتسلّى بهما

يتكهنون عن غائب

ذكر[3] المعتصم يوماً بعض أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت ؛ فقال قوم : يلعب بالنّرد ؛ وقال قوم : يغنّي ؛ فبلغتني النّوبة ، فقال قل يا إسحاق

---

١ الحديث لاسحاق .
٢ ألب أكثر لباً ، عقلاً أكيس : أكثر كياسة ، ظرفاً
٣ الحديث لاسحاق .

قلت   إذاً أقول وأُصيب

قال   أتعلم الغيبَ ؟

قلت   لا ، ولكني أفهم ما يصنعُ وأقدِرُ على معرفته

قال   فان لم تُصِبْ ؟

قلتُ : فان أصبتُ ؟

قال   الك حُكمك ، وان لم تُصِبْ ؟

قلت   الك دمي

قال   وجَبَ

قلت   وجَبَ

قال   فقل

قلت   يتنفّس



قال   فان كان ميتاً ؟

قلت   تُحفظ الساعةُ التي تكلمتُ فيها ، فان كان مات فيها أو قبلها فقد قمَرتني

فقال   قد أنصفتَ

قلتُ   فالحكم

قال   احتكم ما شئت

قلت   ما حُكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين

قال   فان رضاي لك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ، أترى مزيداً ؟

فقلت ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين

قال فانها مائتا ألف درهم ، أترى مزيداً ؟

قلتُ ما أحوجني الى ذلك يا أمير المؤمنين

قال فانها ثلثمائة ألف ، أترى مزيداً ؟

قلت ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين

قال يا صفيق الوجه ! ما نزيدك على هذا شيئاً

سفينة محمد المخلوع

عمل محمد المخلوع[1] سفينةً فأعجب بها ، وركب فيها يريد الأنبار . فلما أمعنَ وأنا مقبلٌ على بعض أبواب السفينة صاح إسحاق اسحاق! فوثبتُ فدنوتُ منه ، فقال لي ترى سفينتي ؟

فقلت حسَنَة يا أمير المؤمنين ، عمّرها الله ببقائك

فقام يريد الخلاءَ وقال لي قل فيها أبياتاً

فقلت ، وخرج فقمتُ بالأبيات ، فاشتهاها جداً وقال لي : أحسنتَ يا إسحاق ، وحياتك لأهَبَنّ لك عشرة آلاف دينار

قلتُ متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسّع الله عليك !

فضحِك ودعا بها على المكان ولم يذكر في خبره الأبيات

---

١ هو الخليفة محمد الامين بن هارون الرشيد ، سمي المخلوع لان اهـــل مكة والمدينة وكثيراً من عماله خلعوه وبايعوا المأمون وهو بخراسان .

يتشوق الى أهله

غنّيت[1] الواثق في شعر قلتُه وأنا عنده بسرّ مَنْ رأى وقد طال مُقامي واشتقتُ الى أهلي ، وهو

يا حبّذا ريحُ الجنوبِ ، إذا بدَتْ
في الصبح ، وهي ضعيفة الأنفاسِ

قد حُمِّلتْ بردَ النّدى ، وتحمّلتْ
عَبَقاً من الجَثجاثِ والبَسْباسِ[2]

فشرب عليه واستحسنه وقال لي: يا أبا محمد، لو قلتَ مكان يا حبذا ريحُ الجنوب يا حبّذا ريحُ الشمال، ألم يكن أرقّ وأعذى[3] وأصحّ للأجساد وأقلّ وخامةً وأطيبَ للأنفس ؟

فقلت ما ذهب عليّ ما قاله أميرُ المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعد .

فقال قل

فقلت

ماذا تَهيج ، من الصّبابة والهوى ،
للصّبّ ، بعــد ذهوله واليأسِ

١ الحديث لاسحاق .
٢ الجثجاث : شجر أصفر مر طيب الريح . البسباس : نبات طيب الريح وهو الشمار .
٣ أعذى : أطيب .

فقال الواثق إنما استطبتَ ما تجيء به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ ، وإليهم اشتقتَ لا إليها

فقلت أَجَلْ يا أمير المؤمنين

وقمتُ فقبّلتُ يده ؛ فضحِك وقال قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام ، فامضِ راشداً ؛ وأمر لي بمائة ألفِ درهم

جعفر البرمكي والهاشمي

أخبرني يحيى بن عليّ عن إسحاق قال

لم أرَ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ؛ كانت له فُتُوّةٌ وظَرفٌ وأدبٌ وحسنُ غِناء وضربٌ بالطبل ، وكان يأخذ بأجزلِ حظٍّ من كل فنّ من الأدب والفتوة

فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد ، فقيل لي إنه نائمٌ ، فانصرفت ؛ فلَقِيَني جعفرُ بن يحيى فقال لي ما الخبر ؟

فقلت أمير المؤمنين نائم

فقال قفْ مكانَك

ومضى الى دار أمير المؤمنين فخرج اليه الحاجب فأعلمه أنه نائم ؛ فخرج إليّ وقال لي قد نام أمير المؤمنين ، فسِرْ بنا الى المنزل حتى نخلوَ جميعاً بقيّــــةَ يومنا وتغنّيني وأُغنّيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا

قلت نعم

فصِرْنا الى منزله فطرحنا ثيابنا ، ودعا بالطعام فطعِمنا ، وأمر بإخراج الجواري وقال لِتَبَّرُزْنَ ، فليس عندنا من تَحْتَشِمْنَ منه

فلمّا وُضع الشراب دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلُوق فتخلّق به ، ثم دعا لي بمثل ذلك ، وجعل يغنّيني وأغنّيه ؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بألاّ يأذن لأحدٍ من الناس كلهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعْلَمَه أنه مشغول ؛ واحتاط في ذلك وتقدّم فيه الى جميع الحُجّاب والخَدَم ؛ ثم قال إن جاء عبدُ الملك فأذَنوا له ، يعني رجلاً كان يأنَس به ويمازِحُه ويحضُر خَلَواتِه

ثم أخذْنا في شأننا ؛ فوالله إنّا لعلى حالة سارّة عجيبة إذ رُفع السِّتْر ، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ قد أقبل ، وغلِط الحاجبُ ولم يفرّق بينه وبين الذي يأنَس به جعفر بن يحيى

وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ من جلالة القَدْر والتقشّف وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل ، وكان أميرُ المؤمنين قد اجتهد به أن يشربَ معه أو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رَفْعاً لنفسه .

فلما رأيناه مقبلاً ، أقبل كلُّ واحد منّا ينظر الى صاحبه ، وكاد جعفر أن ينشقّ غيظاً

وفهِم الرجلُ حالَنا ، فأقبل نحوَنا ، حتى إذا صار الى الرِّواق الذي نحن فيه نزَع قَلَنْسِيَتَه فرمى بها مع طَيْلَسانه جانباً ؛ ثم قال أطعِمونا شيئاً

ودعا ابن جعفر بالطعام وهو منتفخٌ غضباً وغيظاً فطَعِم ، ثم دعا برطل فشربه ، ثم أقبل الى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعِضادَتي[1] الباب ثم قال اشركونا فيما أنتم فيه

فقال له جعفر ادخل

ثم دعا بقميصٍ حريرٍ وخَلوقٍ فلبِس وتخلّق ، ثم دعا برِطل ورِطل حتى شرِب عدّة أرطال ، ثم اندفع ليغنّينا ، فكان والله أحسننا جميعاً غناء

فلمّا طابت نفسُ جعفر وسُرِّيَ عنه ما كان به التفت اليه فقال له ارفع حوائجك

فقال ليس هذا موضعَ حوائج .

فقال لتَفعلنّ

ولم يَزل يُلِحّ عليه حتى قال له أمير المؤمنين عليّ واجدٌ، فأحبّ أن تترضّاه

قال فإنّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنك ، فهاتِ حوائجَك

فقال هذه كانت حاجتي

قال ارفع حوائجك كما أقول لك

قال عليّ دَينٌ فادحٌ

قال هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإن أحببتَ أن تقبضها

---

١ عضادتا الباب خشبتاه من جانبيه

فاقبِضها من منزلي الساعة ، فإنه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أنَّ قَدرَكَ يَجِلُّ عن أن يصِلك مثلي ، ولكني ضامنٌ لها حتى تُحمَلَ من مال أمير المؤمنين غداً ؛ فسَلْ أيضاً

قال ابني ، تُكَلِّمُ أميرَ المؤمنين حتى ينوِّه باسمه

قال قد وَلاّه أميرُ المؤمنين مصرَ وزوَّجه ابنته العاليةَ ومهرها ألفَيْ ألفِ درهم

قال إسحاق: فقلت في نفسي: قد سَكِر الرجل، أعني جعفراً. فلما أصبحتُ لم تكن لي هِمّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد، وإذا جعفر بن يحيى قد بَكّر، ووجدتُ في الدار جلَبة ، وإذا أبو يوسفَ القاضي ونظراؤه قد دُعي بهم، ثم دُعِي بعبد الملك بن صالح وابنِه فأدخِلا على الرشيد؛ فقال الرشيد لعبد الملك إنّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رضِيَ عنك، وأمر لك بأربعة آلاف ألفِ درهم، فاقبِضها من جعفر بن يحيى الساعة

ثم دعا بابنه فقال اشهدوا أني قد زوّجتُه العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفيْ ألفِ درهم من مالي وولّيتُه مصر .

قال فلمّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر؛ فقال بَكّرتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كنّا فيه حرفاً حرفاً ، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنَع ؛ فعَجِب لذلك وسُرّ به ؛ ثم قلت له قد ضَمِنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَماناً

فقال ما هو ؟ فأعلمتُه

قال أَوفِ له بضمانك ، وأمر بإحضاره ؛ فكان ما رأيت

أبوه يعجب بلحنه

أخبرني عمّي عن اسحاق قال

لمّا صنعت لحني في

هل الى نظرةٍ إليكِ سبيلُ

ألقيتُه على علّويه ، وجاءني رسول أبي بطَبَق فاكهة باكُورةٍ ؛ فبعثتُ إليه برّك الله يا أبتِ ووصَلكَ ! ألساعةَ أبعث إليك بأحسنَ من هذه الباكورة

فقال إني أظنّه قد أتى بآبدةٍ[1]

فلم يلبث أن دخل عليه عَلّويه فغنّاه الصوتَ ؛ فعَجِب منه وأُعجب به ، وقال قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدةٍ ثم قال لولده أنتم تلوموني على تفضيل إسحاق ومحبّتي له ، والله لو كان ابنَ غيري لأحببتُه لفضله فكيف وهو ابني ؛ وستعلمون أنكم لا تعيشون إلاّ به

وقد ذكر أبو حاتم الباهليّ أنّ هذه القصة كانت لمّا صنع إسحاقُ لحنَه في

غيّضْنَ من عَبَراتهنّ وقلن لي

---

[1] الآبدة الغريبة

لا رواية ولا دراية

سألت[1] إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ، فقال دَعْني منه ، فليست له روايةٌ ولا درايةٌ ولا حكاية

رثاؤه هشيمة الخمارة

أخبرني الحسن بن علي عن إسحاق قال كانت هُشَيْمَةُ الخمّارة جارتي، وكانت تخُصّني بأطيب الشراب وجيّدِه، فماتت فقلت أرثيها

أضحتْ هُشَيْمَةُ في القبور مقيمةً ،
وخلتْ منازلُها من الفتيانِ

كانت ، إذا هجَرَ المحبُّ حبيبَه ،
دَبّت له في السرّ والإعلان[2]

حتى يَلينَ لما تُريد قيادُه ،
ويصيرَ سيّئُه الى الإحسان

---

١ الحديث لعلي بن يحيى
٢ دبت له مشت مشية الطفل

خاتم الكرام

سألني[1] إدريسُ بن أبي حَفْصة حاجة ، فقضيتُها له وزدت فيما سأل ؛ فقال لي

إذا الرجالُ جَهِلوا المكارما ،
كان بها ابنُ الموصليّ عالمَا

أبقاك ذو العرش بقاءً دائما ،
فقد جُعِلتَ للكرام خاتما

إسحاقُ ! لو كنتَ لقيتَ حاتما
كان نَداه لنَداك خادما

قال حمّاد وقال لي أبي : كان إدريسُ سخيّاً من بين آل أبي حَفصة ؛ فنزل به ضيفٌ ، فتبرّمت امرأتُه عليه ؛ فقال لها

من شرّ أيامك ، اللاتي خُلِقتِ لها ،
إذا فقدتِ نَدى صوتي وزُوّاري[2]

تشاغله عن دعوة

كان[3] عليّ بن هشام قد دعاني ودعا عبد الله بن محمد بن أبي عُيَينة ،

---

١ الحديث لاسحاق

٢ ندى الصوت صداه .

٣ الحديث لاسحاق .

فتأخرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً وتشاغلتُ عنه برجلٍ من الأعراب كان يجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً

وكان عند عليّ بن هشام بعضُ من يُعاديني؛ فسألوا ابن أبي عُيَيْنَة ان يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه الى الخُلْفِ؛ فكتب إليّ

يا مَليئًا بالوعدِ والخُلف والمَطْلِ،
بطيئاً عن دعوة الأصحابِ

لَهِجاً بالأعرابِ، إنّ لدينا
بعضَ ما تشتهي من الأعراب

قد عرفنا الذي شُغلت به عنّا،
وإن كان غيرَنا في الكتاب

قال فكتبتُ الى الذي حمل ابن أبي عيينة على هذه الأبيات قال حَمّاد وأظنه إبراهيم بن المهديّ

قد فَهمتُ الكتابَ أصلحك الله،
وعندي عليه ردُّ الجوابِ

ولعَمري ما تُنصفون، ولا كان
الذي جاء منكم في حسابي

لستُ آتيكَ فاعلمنّ، ولا لي
فيك حظٌّ، من بعدِ هذا الكتاب

يعاتب ابن هشام

قال حمّاد قال أبي وكتبت الى علي بن هشام وقد اعتللتُ أياماً فلم يأتني رسوله

أنا عليلٌ منذُ فارقتَني ،
وأنتَ عمّن غاب لا تسألُ

ما هكذا كنتَ ، ولا هكذا ،
فيما مضى ، كنتَ بنا تفعلُ

فلمّا وصلتْ اليه رقعتي ركِب إليَّ وجاءني عائداً



عودته من البصرة

ولما خرج أبي إلى البصرة خَرْجَتَه الأولى وعاد ، أنشدني في ذلك لنفسه

ما كنتُ أعرِفُ ما في البَينِ من حَزَنِ ،
حتى تَنَادَوا بأنْ قد جيءَ بالسُّفُنِ

قامتْ تودّعني ، والعينُ تغلبها ،
فجَمْجَمَتْ بعضَ ما قالتْ ولم تُبِنِ[1]

---

[1] جمجم الكلام لم يبينه

مالت عَليَّ تُفدّيني وترشُفُني ،
كما يميلُ نسيمُ الرّيح بالغُصُنِ

وأعرضتْ ، ثم قالت ، وهي باكية
يا ليت معرفتي إياك لم تكنِ

لمَّا افترقنا ، على كُرهٍ لفُرقتها ،
أيقنتُ أنّي رهينُ الهم والحَزَنِ

يزيد على شعر جميل

أنشدني[1] شدّاد بنُ عُقبة

قِفي تَسلُ عنكِ النفسُ بالخطّةِ التي
تُطيلين تخويفي بها ، ووعيدي

فقد طالما ، من غير شكوى قبيحةٍ ،
رضينا بحكمٍ منك غيرِ سديدِ

قال فأنشدتُ الزُّبيرَ بن بكّار هذين البيتين ، فقال : لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتُهما غُنماً

---

[1] الحديث لاسحاق

وانشدني شدّاد لجميل أيضاً

بُثَيْنَ سَلِيني بعضَ مالي ، فإنما
يُبَيَّنُ عند المال كلُّ بخيلِ

فاني، وتكراري الزيارة نحوَكم ،
لَبَيْن يدَيْ هَجرِ بُثَيْنَ طويلِ

قال أبي فقلتُ لشَدّاد فهلا أزيدك فيهما ؟

فقال بلى

فقلت

فيا ليتَ شعري ! ما تقولين بعدنا ،
إذا نحن أزمعنا غـــداً لرَحيلِ

ألا ليت أياماً ، مَضَيْنَ ، رواجعٌ،
وليت النّوى قد ساعدتْ بجميلِ

فقال شدّاد أحسنتَ والله ! وإن هذا الشعر لضائعٌ

فقلت وكيف ذلك ؟

قال نفيتَه عن نفسك بتَسْميتك جميلاً فيه ، ولم يَلْحَق بجميل،
فضاع بينكما جميعاً

عند اسحاق المصعبي

دعاني[1] إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ ، فوجّـه إليّ فحضرتُ وحضَر عَلّويه ومخارقٌ وغيرهُما من المغنّين ؛ فبينا هم على شرابهم وهم أسرُّ ما كانوا ، اذ وافاه رسولُ أمير المؤمنين فقال أجبْ.

فقال السمع والطاعة

ودعا بثيابه فلبِسها ثم التفت الى محمد بن راشد الخَنّاق فقال له قد بلغني أنك أحفظ الناس لِما يدور في المجالس ، فاحفظ لي كلَّ صوت يمرّ وما يشربه كلُّ إنسان حتى إذا عدتُ أعدتَ عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني

فقال نعم ، أصلح الله الأمير

ومضى الى المأمون ، فأمره بالشخوص الى بابَك[2] من غدٍ ، وتقدم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنـده فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال يا محمد ، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك ؟

قال قد أحكمتُه أعزّك الله.

---

١ الحديث لاسحاق

٢ هو بابك الخرمي ، خرج على دولة بني العباس ، ثم أخـذ في أيام المعتصم هو وأخوه اسحاق وصلبا

ثم أخبره بما شرب القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده ؛ فأمر أن يُجمعَ له أكثرُ ما شربه واحدٌ منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه صوتٌ صوتٌ مما حفظه له حتى يستوفيَ ما فاته القومُ به ، ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذَ والأصواتَ ثم قال لي يا أبا محمد ، إني قد عملتُ في مُنصرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها

فقلت هاتِها أعزّ الله الأمير

فأنشدني

ألا مَنْ لقلبٍ مُسْلَمٍ للنوائبِ ،
أحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ

تبيّنَ يومَ البينِ أنّ اعتزامه ،
على الصبر، من بعض الظنون الكواذب

حرامٌ ، على رامي فؤادي بسهمه ،
دمٌ صبّه بين الحشى والترائبِ

أراقَ دماً ، لولا الهوى ما أراقه ،
فهل بدَمي من ثائرٍ أو مُطالبٍ ؟

قال فقلت له ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطّ

فقال لي فاصنع فيه

فصنعت فيه لحناً ، وأحضَرني وصيفةً له ، فألقيتُه عليها حتى أخذَتْه ؛

وقال إنما أردتُ أن أتسلّى به في طريقي وتُذكّرني بـه الجاريةُ أمرَكَ إذا غنّته

فكان كلما ذكر أتاني بِرُّه ، الى أن قَدِم ، عدّة دفعات

بعد ان كف بصره

سأل[1] المتوكّل عن إسحاق الموصليّ ، فعرف أنه قـد كُفّ وأنه في منزله ببغداد ؛ فكتب في إحضـاره فلما دخل عليه رفّعه حتى أجلسه قُدّامَ السرير ، وأعطاه مِخَدّة ، وقـال له بلغني أن المعتصم دفع إليك مخدّة في أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال إنه لا يُستجلب ما عند حرٍّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله هل أكل ؟

فقال نعم

فأمر أن يُسقى فلما شرب أقداحاً قال هاتوا لأبي محمد عوداً فجيء به ؛ فاندفع يغنّي بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له

ما علّةُ الشيخِ ، عيناه بأربعـةٍ
تَغْرَورِقان بدَمع ، ثم تَنْسكِبُ[2]

قال أبو عبد الله فوالله مـا بقي غلامٌ من الغِلمان الوقوفِ على

---

١ الحديث لأبي عبد الله محمد بن حمدون .
٢ عيناه بأربعة اي تسيلان بأربعة آماق

الحَيْر[1] إلا وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل

فأمر له بمائة ألف درهم ثم قال لي المتوكل يابنَ حَمْدُون، أتحسن أن تغنّيني هذا الصوت؟

فقلت: نعم

قال غنّه

فترنّمت به؛ فقال إسحاق من هذا الذي يحكيني؟

فقال هذا ابنُ صديقك حمدون

فقال وَدِدتُ أنه يُحسن أن يَحكيني

فقلت له أنت عرّضتني له يا أمير المؤمنين

ثم انحدر المتوكل الى رَقّة بُوصَرا[2]، وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها، فغنّى إسحاقُ

أأن هتفتْ وَرقاء في رَونق الضُّحَى،
على غُصُنٍ غَضّ الشباب، من الرَّنْدِ

بكيتَ كما يبكي الحزينُ صبابةً،
وشوقاً، وتابعتَ الحَنينَ الى نجد

---

[1] الحير: قصر بسر من رأى بناه المتوكل.
[2] الرقة: كل ارض الى جنب واد ينبسط عليها الماء بوصرا قرية من قرى بغداد.

فضحك المتوكل وقال له يا إسحاق ، هذه أخب فَمَلْتك بالواثق لمّا غنّيتَه بالصالحيّة[1]

طَرِبتُ الى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ ،
وذكّرني الهوى قربُ المزارِ

فكم أعطاك لمّا أذِن لك في الانصراف ؟

قال مائة ألف درهم

فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذِن له بالانصراف الى بغداد وكان هذا آخرَ عهدنا به ، لأن إسحاق توفّي بعد ذلك بشهرين

يتطير من صوت

دخلت[2] على الواثق أستأذِنه في الانحدار الى بغدادَ فوجدته مصطبِحاً ، فقال بحياتي غنّ

ألا إنّ أهلَ الدار قد ودّعوا الدارا ،
وإن كان أهلُ الدار في الحيّ أجوارَا[3]

وقد تركوا قلبي حزيناً ، متيَّماً ،
بذكرهمُ ، لو يستطيع لقد طارَا

---

١ الصالحية : قرية قرب الرها من ارض الجزيرة

٢ الحديث لاسحاق .

٣ الأجوار جمع جار وهو الذي يجاورك .

فتطيّرتُ من اقتراحه له وغنّيته إياه ؛ فشرب عليه مراراً ، وأمر لي بثلاثين ألفَ درهم وأذِن لي فانصرفت ؛ ثم كان آخرَ عهدي به

الشعر لمُطيع بن إياس ، والغناء لابراهيم الموصليّ

كسر الغلام الخابية

كنتُ[1] في بيتي وعلّويه يُغنّيني

أعرَضنَ من شَمَطٍ في الرأس لاح به ،
فهُنّ عنه إذا أبصرْنَه حِيدُ[2]

قد كُنّ يَعهَدْنَ مني مَنظراً حسَناً ،
وجُمّةً حسَرَتْ عنها العناقيدُ[3]

فوردتْ عليّ رُقعة من إسحاقَ الموصليّ يستسقيني نبيذاً ؛ فبعثتُ اليه بدَنّ مع غلام لي ؛ فلمّا توسط الغلام به الجسرَ زُحِم فكُسِر؛ فرجع الغلام الى إسحاق فأخبره الخبرَ وسأله مسئلتي التجافيَ عنه ؛ فكتب إليّ

---

١ الحديث لأحمد بن معاوية

٢ الشمط بياض الرأس يخالطه سواد . حيد مائلات

٣ الجمة مجتمع شعر الرأس . حسرت : انكشفت العناقيد جدائل الشعر ، وفي الكلام استعارة .

يا أحمد بن معـــاويَهْ
إني رُميتُ بداهيَه

أشكو اليك فأشكِني
كَسْرَ الغلامِ الخابيَه

فبعثَ اليه بأربعة أدنان ، وأعتقتُ الغلام بشفاعته في أمره

صوت يعجز المغنين

قال لي[1] حمدون بن إسماعيل ، رحمه الله

لما صنع أبوك ، رحمه الله ، هذا الصوتَ

قِف بالديار التي عفا القِدَمُ ،
وغيّرتهـا الأرواحُ والدِّيَمُ

لمّا وقَفنـا بهـــا نسائلها ،
فاضتْ من القوم أعيُنٌ سُجُمُ

ذكراً لعيشٍ مضى ، إذا ذكرت
ما فات منه ، فذكره سَقَمُ

وكلُّ عيشٍ دامتْ غضارتُـه
مُنقلِعٌ مرّةً ومُنصَرِمُ

---

١ الحديث لحماد بن اسحاق

أُعجِب بـه المعتصم والواثق جميعاً ؛ فقال له المعتصم بحماتي اردُدْه على مُخارق وعلّويه والجماعة ليأخذوه عنك ، وانصحهم فيه ؛ فانهم ان أحسنوا فيه ُنسب اليك إحسانُهم ، وإن أساءوا بان فضلُك عليهم .

فردّه عليهم أكثرَ من مائتي مرّة ، وكانوا يقصدون الى منزله ويردُّه عليهم ، ومات وما أخذوا منه علم الله إلا رسمَه

الشعر والغناء لاسحاق

غزال دير القائم

خرجنا[1] مع الرشيد يريد الرقّة ؛ فلما صِرنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلنا ، وخرج يتصيّد وخرجت معه ، فأبعد في طلب الصيد ، ولاح لي دير فقصدته وقد تعبتُ ، فأشرفت على صاحبه ؛ فقال هل لك في النزول بنا اليوم ؟

فقلت إي والله ، وإني الى ذلك لمحتاج

فنزل ففتح لي البابَ وجلس يحدّثني ، وكان شيخاً كبيراً وقد أدرك دولة بني أُميّة ، فجعل يحدّثني عمّن نزل به من القوم ومواليهم وجيوشهم ؛ وعرض عليّ الطعامَ فأجبته ؛ فقدّم إليّ طعاماً من طعام الدّيارات نظيفاً طيّباً ، فأكلتُ منه ، وأتاني بشراب وريحان طريّ

---

١ الحديث لحماد عن أبيه اسحاق .

فشربتُ منه ، ووكّل بي جاريةً تخدمني ، لم أرَ أحسن وجهاً منها ، ولا أشكَل[1] ؛ فشربتُ حتى سكِرتُ ، ونِمتُ وانتبهتُ عِشاءً ؛ فقلتُ في ذلك

بدَيْر القائم الأقصى ،
غزالٌ شادنٌ ، أحوى[2]

بَرى حُبّي له جِسمي ،
ولا يَعلَمُ ما ألقى

وأكتُمُ حُبَّهُ جُهدي ،
ولا والله ما يَخفى

وركبتُ فلحِقتُ بالمعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أوجَد وأُخبرتُ بذلك ، فغنّيتُ في الأبيات ودخلتُ اليه ؛ فقال لي أين كنتَ ؟ ويحك !

فأخبرته بالخبر وغنّيته الصوت

فطرِب وشرب عليه حتى سكِر ، وأخّر الرحيلَ في غدٍ ، ومَضَيْنا الى الدّيرِ ونزله ، فرأى الشيخَ واستنطقه ، ورأى الجارية التي كانت تخدمُني بالأمس ؛ فدعا بطعام خفيف فأصاب منه ، ودعا بالشراب ،

---

١ أشكل أدل وأغنج

٢ دير القائم الأقصى على شاطىء الفرات من جانبه الغربي في طريق الرقة .

وأمر الجاريةَ التي كانت بالأمس تخدمُني أن تتولَّى خدمتَه وسَقْيَه ففعلتْ ، وشرب حتى طابت نفسه ؛ ثم أمر للدَّيْرِ بألف دينار ، وأمر باحتمال خراجه له سَبْعَ سنين ؛ فرحَلْنا

قال حَمّاد فحدّثني أبي قال فلما صِرنا بتلّ عَزاز من دابِق[1] خرجتُ أنا وأصحاب لي نتنزّه في قرية من قُراها ، فأقمنا بها أياماً ، وطلَبني الرشيدُ فلم يَجِدْني فلمّا رجَعتُ أتيتُ الفضلَ بن الربيع ؛ فقال لي أين كنتَ ؟ طلَبك أميرُ المؤمنين

فأخبرته بنُزهتنا فغضِب وخِفتُ من الرشيد أكثر مما لقيتُ من الفضل ؛ فقلت

إنَّ قلبي بالتّلِّ ، تلِّ عَزازِ ،
عندَ ظَبيٍ من الظِّباء الجَوازي

شادِنٍ يسكُنُ الشآمَ ، وفيه ،
مع ظَرفِ العراقِ ، شَكْلُ الحجازِ

يا لَقَومي لبنت قَسٍّ أصابتْ
منكَ صفوَ الهوى ، وليست تُجازي

حلَفتْ بالمسيح أن تُنْجِزَ الوعدَ ،
وليستْ تَهُمُّ بالإنجازِ

---

[1] دابق قرية قرب حلب

وغنّيتُ فيه ؛ ثم دخلتُ على الرشد وهو مُغضَبٌ ؛ فقال أين كنت ؟ طلبتُك فلم أجدك

فاعتذرتُ اليه وأنشدتُه هذا الشعرَ وغنّيتُه إياه ؛ فتبسّم وقال عذرٌ وأبيك وأيُّ عذر !

وما زالَ يشربُ عليه ويَستَعيدُنيه ليلتَه جَمْعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر فلمّا وصلتُ الى رَحْلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يَدْعونا ؛ فوافَيْتُ فدخلتُ ، وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكّان في الدار وهو سَكْران يتململ ؛ فقال لي يابنَ الموصلي ، أتدري ما جاء بنا ؟

فقلت لا والله ما أدري

فقال لكنّي والله أدري دِرايةً صحيحةً ، جاءت بنا نَصْرانيّتُك ، عليك وعليها لعنة الله .

وخرج الآذنُ فأذِنَ لنا ، فدخلنا فلما رأيتُ الرشيد تبسّمت ؛ فقال لي ما يُضحكك ؟

فأخبرته بقول ابن جامع

فقال صَدَق ، ما هو إلا أن فقدتُكم فاشتقتُ الى ما كنّا فيه ، فعُودوا بنا ؛ فعُدْنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا

يدخل على الرشيد مغنياً

دخلتُ[1] على الرشيد يوماً في عمامة قد كوّرتُها على رأسي ؛ فقال :

---

[1] الحديث لاسحاق .

ما هذه العمامة ! كأنك من الأنبار

فلمّا كان من غدٍ دعا بنا اليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنّون جميعاً قبلي ، ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطي بشَدّة حرير أحمر، ولبستُ لباساً مُشتَهراً ، وأخذتُ بيدي صَفّاقتَين وأقبلتُ أخطِر وأضرب بالصّفّاقتَين وأُغنّي

إسمعْ لصوتٍ مليحٍ ،
من صَنعة الأنباري

صوتٍ خفيفٍ ، ظريفٍ ،
يطيرُ في الأوتارِ

فبسط يده إليّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول أحسنتَ وحياتي ! أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيّةَ يومه ، وما استعاد غيرَه ، وأمر لي بعشرين ألف درهم

عند الفضل بن الربيع

حدّثني[1] أحمد بن يحيى المكّيّ قال كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغنّى بعضُ مَنْ كان عنده

كلُّ شيء منكِ ، في عيني ، حسَنْ ،
ونَصيبي منكِ همٌّ وحزَنْ

---

١ الحديث لحماد بن اسحاق

لا تَظُنّي أنـه غيّرني ،
قِدَمُ العهدِ ولا طولُ الزمنْ

فقال لي أتدري لمن هذا ؟

فقلت لبعض الطُّنْبُورِيِّين

فقال لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق

شعره في جارية سقته

لمّا خرجنا[١] مع الرشيد الى طُوس كنتُ معه أسايرُه، فاستسقيت ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَحْنة ، فخرجتْ إلينا جاريةٌ كأنها ظبية ، فسقتْني ماءً ؛ فقلتُ هذا الشعر

غزالٌ يرتعي هضبـاتِ وادٍ ،
بسَحْنَةَ ، قد تمكّنَ في فؤادي

سقاني شَربـةً كانت شِفـاءً
لِعِلّةِ حـائمٍ ، حرّانَ صادي

وغنّيته الرشيدَ ؛ فقال لي أتحبُّ أن أزوّجكها ؟

فقلتُ نعم والله يا سيّدي

قال فاخطُبها والمَهرُ عليّ وما يُصلحها .

فخطبتُها ، فأبى أهلها أن يُخرجوها من بلدهم

---

١ الحديث لاسحاق

سواط يدعي صوتاً له

قال لي أبي[1] ما اغتممتُ بشيء قطّ مثلما اغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعتُه في هذا الشعر

كان لي قلبٌ أعيشُ به ،
فاكتوى بالنارِ فاحترَقا

أنا لم أُرزَقْ مَحَبّتَها ؛
إنما للعبد ما رُزِقا

من يكن ما ذاقَ طعمَ ردًى ،
ذاقه لا شكّ إن عَشِقا

فإني صنعتُ فيه لحناً وجعلتُ أردّده في جَناحٍ لي سَحَراً ؛ فأظنّ أنّ إنساناً من العامّة مرّ بي فسمعه فأخذه ؛ فبكّرتُ من غدٍ الى المعتصم لأغنّيَه ، فإذا أنا بسوّاط يسُوط[2] الناطف[3] وهو يُغنّي اللحنَ بعينه إلا أنه غناء فاسدٌ فعجبتُ وقلتُ : ترى من أين لهذا السّوّاط هذا الصوت ! ولعلّي إذ غنّيته أن يكون قد مرّ بي هذا فسمعني أُغنّيه ؛ وبقيتُ مُتحيّراً

---

١ الحديث لحماد بن اسحاق .

٢ يسوط : يخلط

٣ الناطف ضرب من الحلواء لأنه ينطف قبل استفرابه ، أي يقطر قبل خثورته .

ثم قلت يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟

فلم يجبني والتفتَ الى شريكه وقال هـذا يسألني ممن سمعته ! هذا غنائي، والله لو سمعه إسحاق الموصليّ في سَراويله؛ فبادرتُ والله هارباً خوفَ أن يمرَّ بي إنسانٌ فيسمع مـا جرى عليّ فأفتضِـح ؛ وما علِم الله أني نطقت بذلك الصوتِ بعدها

مدحه جعفر بن يحيى

دخلت[1] يوماً على جعفر بن يحيى ، فرأى شفَتيّ تتحركان بشيء كنتُ أعمله ؛ فقال أتدعو أم تصنع ماذا ؟

فقلتُ بل أمدح



قال قل

فقلت

وكنتُ، اذا إذنٌ عليك جرى لنـا ،
تجلّى لنا وجهٌ أغرُّ ، وسيمُ

عـلانيـَـةٌ محمـودةٌ وسريرةٌ ،
وفعـــلٌ يسُرُّ المُعتَفينَ كريمُ

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ، وقال: زِدِ البيتين حُسناً بأن تصنع فيهما لحناً ؛ فصنعتُ لحناً ؛ فلم يزل يشربُ عليهما حتى سكِر

---

١ الحديث لاسحاق

يدخل الى بيت متطفلا

غدوتُ[1] يوماً وأنا ضَجِرٌ من ملازمةِ دارِ الخلافةِ والخدمةِ فيها؛ فخرجتُ وركِبتُ بُكرةً، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرّج؛ فقلت لغلماني إن جاء رسول الخليفة أو غيرُهُ فعرّفوه أني بكّرت في بعض مهمّاتي، وأنكم لا تعرفون أين توجّهتُ

ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي، ثم عُدتُ وقد حَمِيَ النهار؛ فوقفتُ في الشارع المعروف بالمخرّم[2] في فِناءٍ ثَخينِ الظلّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ فلم ألبثْ أن جاء خادمٌ يقود حماراً فارِهاً عليه جاريةٌ راكبة، تحتها مِنديل دَبيقيٌّ[3] وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده، ورأيتُ لها قواماً حسناً وطَرْفاً فاتِراً وشمائلَ حسنةً؛ فَخَرَصْتُ[4] عليها أنها مُغنّية، فدخلتِ الدارَ التي كنتُ واقفاً عليها.

ثم لم ألبث أن جاء رجلانِ شابّانِ جميلانِ، فاستأذنا فأذن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ؛ فظنّا أن صاحب الدار دعاني وظنّ صاحبُ الدار أني معهما

فجلسنا، وأُتِيَ بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضِع، وخرجت الجارية

---

١ الحديث لاسحاق

٢ المخرم: محلة في بغداد بالجانب الشرقي

٣ دبيقي: نسبة الى دبيق، بليدة في مصر

٤ خرصت: ظننت وخمنت

وفي يدها عودٌ فغنَّتْ وشربنا ؛ وقمتُ قومةً ، وسأل صاحب المنزل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني

فقال هذا طُفَيليٌّ ، ولكنه ظريفٌ ، فأجمِلوا عِشْرتَه . وجئت فجلستُ ، وغنَّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي

ذَكَرتُكِ أنْ مرَّتْ بنا أمُّ شادنٍ ،
أمامَ المطايا ، تَشرئِبُ وتَسْنَحُ

من المؤلِفاتِ الرملِ ، أدماءُ ، حُرَّةٌ ،
شُعاعُ الضحى ، في مَتْنِها ، يَتَوضَّحُ

فأدَّتْه أداء صالحاً وشَرِبت ثم غنَّتْ أصواتاً شتى ، وغنَّتْ في أضعافها من صنعتي

الطُّلُولُ الدوارِسُ ،
فارقَتْها الأوانِسُ

أوحشتْ بعد أهلها ،
فهي قَفْرٌ بَسابِسُ

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه في الأول ثم غنَّتْ أصواتاً من القديم والحديث ، وغنَّتْ في أثنائها من صنعتي

قُلْ لِمَن صَدَّ عاتِبا ،
ونأى عنكَ جانبَا

قد بلغتَ الذي أرَدتَ ،

وإن كنتَ لاعِبا

فكان أصلحَ ما غنَّته ، فاستَعَدْتُه منها لأصحّحه لها ؛ فأقبل عليَّ رجل من الرجلين وقال ما رأيتُ طُفَيلياً أصفقَ وجهاً منك ! لم تَرضَ بالتطفيل حتى اقترحْتَ ، وهذا غايةُ المثل « طُفَيلِيٌّ مُقتَرِحٌ »

فأطرَقْتُ ولم أُجِبه ، وجعل صاحبُه يَكُفُّه عنّي فلا يكُفُّ ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلاً ، فأخذتُ عودَ الجارية ، ثم شددتُ طبقتَه وأصلحتُه إصلاحاً محكماً ، وعُدتُ الى موضعي فصلَّيت ، وعادوا ؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ في عَرْبَدتِه عليّ وأنا صامت

ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فجَسَّته وأنكرتْ حاله وقالت مَنْ مَسَّ عُودي ؟

قالوا ما مسّه أحدٌ !

قالت بلى ! والله لقد مسّه حاذقٌ متقدّم وشَدّ طبقتَه وأصلحه إصلاحَ مُتمكّن من صناعته

فقلتُ لها أنا أصلحتُه

قالت فبالله خذه واضرب به

فأخذتُه وضربتُ به مبدأً صحيحاً ظريفاً عجيباً صعْباً ، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ ؛ فما بقي أحدٌ منهم إلا وثَبَ على قدميه وجلس بين يديّ ؛ ثم قالوا بالله يا سيّدنا أتُغنّي ؟

فقلتُ نعم، وأعرّفُكُم نفسي، أنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصليّ، ووالله إني لَأتيهُ على الخليفة إذا طلبني وأنتم تُسمعونَني ما أكره منذ اليوم لأني تملّحتُ معكم ؛ فوالله لا نَطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرِجُوا هذا المُعَربِدَ المَقِيتَ الفَسْ

فقال له صاحبُه مِن هذا حَذِرتُ عليك ؛ فأخذ يعتذرُ ؛ فقلتُ : والله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يُخرَجَ ؛ فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا فبدأتُ وغنّيتُ الأصواتَ التي غنّتها الجاريةُ من صنعتي ؛ فقال لي الرجلُ هل لك في خَصْلةٍ ؟

قلتُ ما هي ؟

قال تُقيمُ عندي شهراً ، والجاريةُ والحمارُ لك مع ما عليها من حُليّ

قلت أفعل

فأقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يَدري أحدٌ أين أنا، والمأمونُ يَطلُبني في كلّ موضع فلا يعرِفُ لي خبراً فلمّا كان بعد ثلاثين يوماً أسلم إليّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ ؛ فجئتُ بذلك الى منزلي ، وركِبتُ الى المأمون من وقتي؛ فلمّا رآني قال إسحاقُ ! وَيحَك ! أين تكون !

فأخبرتُه بخبري

فقال عليّ بالرجل الساعةَ

فدللتُهم على بيته فأحضِر ؛ فسأله المأمونُ عن القصة فأخبره ؛

فقال له أنت رجل ذو مروءةٍ وسبيلُكَ أن تَهاوَنَ عليها ؛ وأمر له بمائة ألف درهم

وقال : لا تُعاشِرنّ ذلك المعربِدَ النَّذلَ البتَّةَ ؛ وأمر لي بخمسين ألف درهم

وقال أحضِرْني الجاريةَ ، فأحضرتُها فغنّته ؛ فقال لي قد جعلتُ لها نوبةً في كلّ يوم ثُلاثاء تُغَنّيني وراءَ الستارة مع الجواري ؛ وأمر لها بخمسين ألف درهم فربِحتُ والله بتلك الرَّكْبةِ وأربَحْتُ

نسبة ما في هـــذا الخبر من الأغاني

ذكرتُكِ أن مرّتْ بنـا أمُّ شادنٍ ،
أمامَ المطـايا ، تشرئبُّ وتَسْنَحُ

من المؤلِفاتِ الرملِ ، أدماءُ ، حرّةٌ ،
شُعاع الضُّحى ، في مَتنِها ، يتوضّحُ

الشعرُ لذي الرُّمّة ، والغناءُ لاسحاق

قل لمن صدّ عاتِبـا ،
ونأى عنـك جانبا

قد بلَغتَ الذي أردتَ ،
وإن كنتَ لاعِبـــا

الشعرُ والغناء لاسحاقَ وقد تقدّم خبره قبل هذه الأخبار

الطّلولُ الدّوارِسُ،
فارقَتْها الأوانسُ

أَوْحشتْ بعد أهلها،
فهي قَفْرٌ بسابِسُ

الشعر لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقاً لاسحاق. والغناء لاسحاق وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه

الواثق يعجب بصوته

أخبرني عمّي قال حدّثني يزيدُ بن محمد المهلّبي قال

كنتُ عند الواثق؛ فغنّت «[illegible]» التي وهبها له إسحاق هذا الصوتَ فقال لمخارق وعلّويه والله لو عاش مَعْبدٌ ما شقّ غبارَ إسحاقَ في هذا الصوت

فقالا له إنه لحسنٌ يا أمير المؤمنين

فغضب وقال ليس عندكما فيه إلا هذا!

ثم أقبل على أحمد بن المكّيّ فقال دعني من هذين الأحمقين؛ أوّل بيت في هذا الصوت أربعُ كلمات: «الطلول» كلمة، و«الدوارس» كلمة، و«فارقتها» كلمة، و«الأوانس» كلمة؛ فانظر هل ترك إسحاق شيئاً من الصنعة يتصرّفُ فيه المغنّي لم يُدخِله في هذه الكلمات الأربع! بدأ بها نشيداً، وتلاه بالبسيط، وجعل فيه صياحاً، وإسجاحاً،

وترجيحاً للنَّغَم ، واختلاساً فيها ، وعمِلَ هذا كلَّه في أربع كلمات .

فهل سَمِعْتَ أحداً تقدَّم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟

فقال صدق أمير المؤمنين ، قد لحق مَنْ قبله وسبق مَن بعده

شعره في دير مريم

لمّا خرجت[1] مع الواثق الى النَّجَف دُرْنا بالحيرة ومررنا بدياراتها ؛ فرأيتُ دير مريم[2] بالحيرة ، فأعجبني موقعُه وحسنُ بنائه ؛ فقلتُ

نِعمَ المحلُّ ، لمن يسعى للذَّته ،
ديرٌ لمريمَ ، فوقَ الظهر معمورُ

ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذي أَسَنٍ ،
وقاصراتٌ كأمثال الدُّمى حورُ[3]

فقال الواثقُ لا نَصطَبِحُ والله غداً إلا فيه

وأمر بأن يُعدَّ فيه ما يصلُحُ من الليل وباكرناه فصطبحنا فيه على هذا الصوت ؛ وأمر بمالٍ ففُرِّق على أهل ذلك الدير ، وأمر لي بجائزة

---

١ الحديث لاسحاق

٢ دير مريم او دير مارت مريم : دير قديم بناه آل المنذر بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب يشرف على النجف

٣ القاصرات اللواتي لا يمددن عيونهن الى غير بعولتهن

عند عبد الله بن طاهر

أخرج[1] إليّ عبدُ الله بن طاهر يوماً بيتيْ شعرٍ في رقْعة وقال هذان البيتان وجدتهما على بِساطٍ طَبَريّ أَصْبَهْبُذيّ أُهـدي إليّ من طَبَرِسْتانَ ، فأحبُّ أن تُغنّيني فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هُما

لجّ بالعين واكفُ ،
مِنْ هَوًى لا يُساعفُ

كلّما كفّ غَرْبُها ،
هيّجتْه المعازِفُ[2]

قال فغنّيت فيهما وغدوت بهما إليه ، فأعجب بالصوت ووصلني بصِلة سنيّةٍ ، وكان يَشتهيه ويقترحه ، وطرحتُه على جميع جواريه ، وشاع خبر إعجابه به فبينا المعتصمُ يوماً جالسٌ يُعرَضُ عليه فرشُ الربيع ، إذ مرّ به بِساطُ ديباجٍ في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما

إنما الموتُ أن تفارقَ
مَنْ أنتَ آلِفُ

---

١ الحديث لاسحاق

٢ الغرب الدمع

لـكَ حُبَّانِ في الفؤادِ ،
تَلِيــدٌ وطـارِفُ

فأمرَ بالبساطِ فحُمِلَ الى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول قل له إني قد عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساط أحبَبْتُ أن أُتِمّ سرورَك به

فشكر عبدُ الله ما تأدّى اليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقـدارَه ، وقال لي والله يا أبا محمـد لَسُروري بتمام الشعر أشدُّ من سروري بكلِ شيء ، فألحقهما في الغناء بالبيتين الأولين ، فألحقتهما

نسبة هذا الصوت

اجّ با[illegible]اكفُ ،
مِن هوىً لا يساعِف

كلَّما كفَّ غَربُها ،
هيَّجتْـه المعـازِفُ

إنما الموتُ أن تُفارِقَ
مَـنْ أنتَ آلِـفُ

الكَ حُبَّانِ في الفؤادِ ،
تَلِيـدٌ وطـارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غير ما ذكرتُه في هذا الخبر

عدد اصواته

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن ابن المكي عن أبيه قال
قلت لاسحاق يوماً يا أبا محمد ، كم تكون صنعتك ؟
فقال ما بلغت مائتين قط

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال :
قال لي وكيل بن الحَرونيّ قلت لأبيك إسحاق يا أبا محمد ،
كم يكون غناؤك ؟
قال نحواً من أربعمائة صوت
قال وقال له رجل بحضرتي ما لك لا تُكثر الصنعة كما
يُكثر الناس ؟
قال لأني إنما أنقُر في صخرة

مرضه ووفاته

وتوفي إسحاق ببغداد في أوّل خلافة المتوكل. فأخبرني الصُّولي قال :
ذكر إبراهيم بن محمد الشّاهيني
أنّ إسحاق كان يسأل اللهَ ألا يبتليَه بالقُولنج[1] لِمَا رأى من

[1] القولنج مرض معوي مؤلم ، يعسر معه خروج الثفل والريح

صعوبته على أبيه ؛ فرأى في منامه كأنّ قائلاً يقول له قد أُجيبت دعوتُك ولستَ تموت بالقولنج، ولكنك تموت بضده ؛ فأصابه ذرَبٌ[1] في شهر رمضان سنة خمسٍ وثلاثين ومائتين ؛ فكان يتصدّق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائـة درهم ، ثم ضعُف عن الصوم فلم يُطِقْـه ومات في شهر رمضان

نعيه الى المتوكل

نُعِي إسحاق الى المتوكل في وسط خلافته ، فغمّه وحَزِن عليـه ، وقال ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمال الملك وبهائه وزينته

ثم نُعِي اليه بعده أحمدُ بن علي بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال تكافأت الحالتان ، وقام الفتح بوفاة أحمد، وما كنت آمَنُ وَثْبَتَه عليّ، مقامَ الفَجيعة بإسحاق؛ فالحمد لله على ذلك !

رأيت[2] فيما يرى النائم قائلاً يقول لي

مات الحُسّان ابن الحُسّانِ ،
ومات إحسانُ الزمـــانِ

---

١ الذرب داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام ، ويفسد فيها فلا تمسكه
٢ الحديث لرجل من قطربل

فاصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي ، فتلقّاني خبر وفاة اسحاق الموصليّ

مراثي الشعراء فيه

وقال إدريس بن أبي حفْصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ

سقى اللهُ، يابنَ الموصليّ، بوابلٍ
من الغيث ، قبراً ، أنت فيه مُقيمُ

ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ ، فما ينِي
بعَبْرته ، يَبْكي عليك كريم

الى الله أشكو فقد إسحاق ، إنني ،
وإن كنت شيخاً بالعراق ، يَتيمُ

وقال محمد بن عمر الجُرجاني يرثيه

على الجَدَثِ الشرقيّ عُوجا ، فسلّما
ببغداد ، لمّا ضَنّ عنه عوائدُهْ

وقُولاَ له لو كان للموت فِدْيةٌ ،
فداك ، من الموت ، الطّريفُ وتالِدُه

أإسحاقُ لا تَبْعَد ! وإن كان قد رمى
بك الموتُ وِرْداً ، ليس يَصدُر واردُه

إذا هزَلَ اخضرّتْ فنونُ حديثه ،
ورقّتْ حَواسيه ، وطابت مَشاهدُه

وإن جدّ كان القولُ جِدّاً ، وأقسمتْ
مَخارجه ألاّ تَلينَ معاقِدُه

فبكّ على ابن الموصليّ بعَبرةٍ ،
كما ارفضّ من نظم الجُمان فرائدُه

وقال مصعب بن عبد الله الزبيريّ يرثيه

أتدري لمن تبكي العيونُ الذّوارفُ ،
ويَنْهلّ منها [illegible] ، ثم واكفُ ؟

نعم لامرىءٍ لم يبقَ في الناس مثلُه ،
مفيدٌ لعلم ، أو صديقٌ مُلاطِفُ

تجهّزَ إسحاقٌ الى الله غادياً ،
فلله ما ضُمّتْ عليه اللفائفُ[1]

وما حمل النعشَ المزجّى ، عشيّةً ،
الى القبر ، إلا دامعُ العين لاهفُ

---

[1] اللفائف الأكفان

صدورهُمُ مَرضى ، عليه عميـدةٌ ،
لها أزْمةٌ ، من ذكره، وزفازف[1]

ترى كلَّ محزونٍ تفيض جفونُـه
دموعاً ، على الخدَّينِ ، والوجه شاسف[2]

جُزيتَ جزاءَ المحسنـين مضاعفاً ،
كما كان جدواكَ النـدى المتضاعف

فكم لك فينا من خـلائقَ جَزلةٍ ،
سبقتَ بها منهـا حديثٌ وسالف

هي الشَّهد ، أو أحلى إلينا حـلاوةً
من الشهد ، [illegible] به الماءَ غارف

ذهبتَ وخلَّيتَ الصديقَ بعَولةٍ ،
به أسفٌ ، من حزنـه ، مترادف

إذا خطَراتُ الذكر عاودْنَ قلبَه ،
تتابـــع منهنّ الشؤونُ النوازف[3]

---

١ ازمة ضيق وشدة واراد بالزفازف الزفرات حزناً عليه
٢ الشاسف اليابس
٣ الشؤون الدموع النوازف : الفانيات لكثرة سيلانهن

حبيب الى الإخوان، يَرْزُون مالَه،
وآتٍ لما يأتي امرؤ الصدقِ عارف[1]

هو المَنّ والسَّلْوى لمن يستفيده،
وسمٌّ، على من تشرب السمّ، زاعِف

بكت دارُه من بعده، وتنكّرتْ
معالمُ، مِن آفاقِها، ومعارف

فما الدار بالدار، التي كنت أعترِي،
وإني بها، لولا افتقادِيكَ، عارف

هي الدار، إلا أنها قد تخشّعتْ،
وأظْلمَ منها جانبٌ، فهو كاسِف

وبان الجمالُ والفعالُ، كلاهما،
من الدار واستَنّتْ عليها العواصف[2]

خلت دارُه من بعده، فكأنما
بعاقبةٍ لم يُغنِ، في الدار، طارِف

وقد كان فيها للصديق مُعرَّسٌ،
وملتمَسٌ إن طاف بالدار طائف[3]

---

١ يرزون، مسهل يرزأون يصيبون ماله
٢ استنت: انصبت.
٣ المعرس: مكان نزول القوم ليلاً للاستراحة من السفر

كرامةُ إخوان الصَّفاء، وزُلفةٌ
لمن جاء تُزجيه اليه الرَّواجِف[1]

صِحابتُه الغُرّ الكرام، ولم يكن
ليَصْحبَه السُّود اللئام المقارِف[2]

يؤول اليه كلُّ أبلجَ شامخٍ،
ملوكٌ وأبناء الملوك الغطارف

فلُقّيتَ في يمنى يديْك صحيفةً،
إذا نُشرَتْ يومَ الحساب الصحائف

يَسُرُّ الذي فيها إذا ما بدا له،
ويَفْتَرُّ منها ضاحكاً، وهو واقف

بما كان ميمونا على كلّ صاحب،
يُعين على ما نابه ويكانِف[3]

سريعٌ الى إخوانه برضائه،
وعن كلّ ما ساء الأخلاّءَ صارف

---

١ الزلفة : القربة . تزجيه : تدفعه . الرواجف المخاوف يريد انه يقربُ من تدفعه اليه المخاوف ليسري عنه .
٢ المقارف : الأنذال .
٣ يكانف يعاون

أرى الناسَ كالنَّسناس لم يبق منهم ،
خلافكَ ، إلا حُشوةٌ وزعانِف[1]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أنشدني أبو أيوبَ لأحمد بن إبراهيم يرثي إسحاق في قصيدة له

لقد طاب الحِمامُ ، غداةَ ألوى ،
بنفس أبي محمدٍ ، الحِمامُ

فلو قُبِل الفداءُ ، إذاً فدَتْه
ملوكٌ ، كان يألفُها ، كِرامُ

فلا تَبْعَدْ ! فكلُّ فتًى سيثوي ،
عليه التُربُ يُلقى والرِّجامُ[2]

قال وقال أيضاً يرثيه

لله أيُّ فتًى ، الى دار البِلى ،
حمَلَ الرجالُ ضحًى على الأعوادِ

كم من كريمٍ ما تجِفُّ دموعُه ،
من حاضرٍ يبكي عليه ، وبادِ

---

١ النسناس : خلق في صورة الناس الحشوة : الارذال الزعانف ، واحدهـا زعنفة : الرذل ، الدون ، الخسيس
٢ الرجام الحجارة التي تجمع على القبور .

أمسى يؤبِّنه، ويعرف فضلَه،
من كان يَثلِبه من الحُسّادِ

فسقتْك يابنَ الموصليّ روائحٌ،
تُروي صداكَ بصَوْبها وغَوادِ

ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم

ألا قاتلَ اللهُ اللّوَى من مَحَلّةٍ،
وقاتلَ دُنيانا بها كيف ذَلّتِ

غَنِينا زماناً باللّوى، ثم أصبحتْ
عِراصُ اللّوى، من أهلها قد تخلّتِ

الشعرُ للصِّمَّة القُشَيريّ، والغناء لإسحاق


مصر فون

اسحاق الموصلي

قطوف الاغانى

الكتب التي صدرت من هذه المجموعة


مصر فون


مصرفون
Misrfone